مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

مجلة لغوية علمية محكمة يصدرها المجمع الجزائري للغة العربية

مؤسس المجلة

أ.د.عبد الرحمن الحاج صالح

مدير الإدارة

محمد بريج

رئيس التّحرير

أ.عثمان شبوب

اللجنة العلمية للتّحرير

أ.د. محمد صاري

أ.د.أحمد حساني أ.د. تواتي بن التواتي

أ.د. بشير إبرير أ.د. عبد الجليل مرتاض

أ.د. شريف بوشحدان د. د. علي الأمير عباس فهد د. أمينة سعد الدين

ماهر فؤاد الجبالي د. علي فراجي د.عبد الرحمن إكيدر

د. عبد الحليم ريوقي د. جميلة عاشور د. محمد حاج هني

د. عثمان بريحة د. يداللهي فارساني عباس د. عمر بلخير

****للاتصال بنا:**

عنوان المراسلة: 06 شارع العقيد محمد بوقرة-الأبيار – الجزائر/ص.ب-402- الأبيار – الجزائر

البريد الإليكتروني للمجلة: asjp.cerist.dz / majalaatelmajmaa@gmail.com

هاتف: 90 07 23 021 213 +/ الفاكس: 81 07 23 021 213 /71 07 23 021 213 +

البريد الإليكتروني: académie@aala.dz

*** المقالات التي ترد إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها، نشرت ام لم تنشر.**

*** كل باحث مسؤول عن آرائه.**

-محتويات العدد-

1- الأسلوب والأسلوبية، مفاهيم واتجاهات

د.ياقوت بشير **26-09**

2- **جوانب من نشاط النحاة الجزائريين منذ القرن التاسع الهجري**

د. بلحاج جلول/د. بلحاج ميلود..... **52-27**

3- **عود الضمير: هاء الضمير الغائب وأثرها في توجيه معاني القرآن عند الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره.-سورة ءال عمران ، والنساء، والمائدة. أنموذجا- تابع.**

د. جمال بوكو. **70-53**

4- **الخطاب اللسانيّ في المقرّرات الجامعيّة -ضرورة التحيّين الزمانيّ والتكيّيف الثقافيّ .**

د. إسمهان بدّي/ د.عبد الناصر بوعلي. **88-71**

5- **معاجم المعاني والموضوعات في التراث اللغوي-معجم الغريب المصنف لأبي عبيد أنموذجا -.**

د. الطاهر نعيجة..... **106-89**

6- **كتاب- اجتهادات لغوية- لتمّام حسّان وكتاب-اللّسانيات العربية -أسئلة المنهج- لمصطفى غلفان- دراسة تقابلية.**

د. عبد القادر بن التواتي..... **144-107**

7- **وظائف الخطاب في اللسانيات التمهيدية.**

أ.خولة إبرير/ أ.فريدة لعبيدي..... **162-145**

8- **العلة: المفهوم والتطور.**

د. عبد الله بوخلخال..... **186-163**

الأسلوب والأسلوبية، مفاهيم واتجاهات

ياقوت بشير
أستاذة محاضرة أ، جامعة الجزائر 1
y.bachir@univ-alger.dz 0549 61 62 20

تاريخ الإرسال: 2021/02/19- تاريخ القبول: 2021/02/24- تاريخ النشر:2021/12/26

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة تحليلية للمفاهيم التي حاول من خلالها الباحثون تحديد ماهية الأسلوبية، وذلك في علاقتها بالمفاهيم التي أفردوها لتعريف ظاهرة الأسلوب. وتتحدد إشكاليتها في تقصي أثر هذه التعريفات في إيجاد الإطار المفهومي للأسلوبية وحصر اتجاهاتها باعتبارها مجالا بحثيا يسعى إلى توخي منهج علمي خاص به بعيدا عن المناهج النقدية التقليدية.

فهي دراسة تبحث في تنوع المفاهيم التي تهدف إلى تحديد موضوع العلم في ارتباطها بتعدد المفاهيم التي تهدف إلى تحديد مناهج البحث فيه، وبالتالي تعريف العلم.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب؛ الأسلوبية؛ اللسانيات؛ مفاهيم؛ اتجاهات.

Résumé :

Cette recherche vise à fournir une étude analytique des concepts à travers lesquels les chercheurs ont essayé de définir la stylistique, par rapport aux concepts qu'ils ont proposés pour définir le phénomène du style. Sa problématique se résume dans l'étude de l'impact de ces définitions sur la détermination du cadre conceptuel de a stylistique et de ses tendances, en tant que domaine de recherche qui vise à élaborer sa propre approche scientifique loin des approches de la critique littéraire classique.

En un mot, cette recherche consiste en l'étude de la diversité des concepts visant à définir l'objet de la science, en corrélation avec la multiplicité des concepts visant à définir ses méthodes de recherche, et donc la définition de la science elle-même.

Mots clés : style ; stylistique ; linguistique ; concepts ; tendances.

مقدمة:

شهدت اللسانيات مند بداية القرن العشرين تطورا سريعا نتيجة للثورة العلمية التي أحدثتها أفكار دي سوسور، وصاحب تطور نظريته اللغوية تطورا في الدراسات الأسلوبية لتصير علما مستقلا؛ ولذلك تعد الأسلوبية وليدة النظرية اللسانية الحديثة، فهي تأسست على يد شارل بالي تلميذ دي سوسور، وسعت إلى رسم حدودها في إطار منهج علمي مغاير للمناهج التي عاصرت ظهورها في النقد الأدبي، والتي كانت ترتكز في تحليلها للخطاب على السياقات الخارجة عن النصوص.

وتجدر الإشارة إلى أن رواد الأسلوبية في محاولاتهم لإرساء قواعد العلم، أظهروا عدم اتفاقهم حول تحديده وتحديد الإطار النظري الذي تتم دراسته في نطاقه، الشيء الذي أدى بالكثير من الباحثين إلى إيراد تعريفات عديدة للأسلوب في مقدمات أبحاثهم التي كانوا يعقدونها لدراسة الظاهرة الأسلوبية؛وأما مصدر هذا التعدد، فيعزى إلى اختلاف الاعتبارات التي تقوم عليها تعاريفهم، فهي تتطلق في مجملها من عملية التواصل أو التخاطب وعناصرها، وأهمها أركانها الثلاثة: المرسِل أو المخاطِب، المرسَل أو المخاطَب، والرسالة أو الخطاب، ولكنها تختلف في الزاوية التي تنظر من خلالها إلى هذه العملية. وفي ضوء ذلك، تتنوع المقاربات وتصنف حسب الركن الذي ترتكز عليه،

وتهدف هذه الدراسة إلى استعراض وجهات نظر الدارسين وتحليل تعاريفهم للأسلوبية في ضوء المفاهيم المختلفة التي أوردوها للأسلوب،وتناقش أثر ذلك الاختلاف في توجيه الدرس الأسلوبي وتحديد ماهيته.

1-مصطلح الأسلوب ودلالته في الدراسات العربية القديمة:

أوردت المعجمات العربية لمصطلح الأسلوب دلالات متنوعة، نذكر من بينها بعض الدلالات التي ضمّنها ابن منظور معجمه، ومنها ما ورد في اللسان من أن مصطلح الأسلوب يطلق على السطر من النخيل وكل ما هو ممتد من الطريق، فهو" الطريق والوجه والمذهب، ... ويجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه"[1].

وفضلا عن الدراسات المعجمية، استعمل العرب القدماء لفظ الأسلوب بوصفه الطريقة المخصوصة في النظم في معرض مباحثهم لإعجاز القرآن، وذلك في موازناتهم بين أسلوبه وغيره من أساليب أجناس الكلام البشري، نذكر من بينهم ابن قتيبة والخطابي والباقلاني؛ ومما ورد في هذا السياق حديث الباقلاني:"...وذلك أن نظم القرآن... خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد."[2]

وشهد التراث البلاغي تداولا لمصطلح الأسلوب، وعرّفه عبد القاهر الجرجاني على أنه:"الضرب من النظم والطريق فيه"[3].وتميز الجرجاني

[1]- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، ط1، مج 1، دار صادر، بيروت، 1955، ص443.

[2]-الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة-بيروت، 1421هـ، 2001م، ص35.

[3]- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1404هـ، ص469.

بربطه بين النظم ومعاني النحو، حيث يقول: " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو."[4]

وعرف ابن خلدون الأسلوب باعتباره منوالا تنسج فيه التراكيب أو قالبا تفرغ فيه،وهو يرى أنه "لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض،"[5]فصناعة الشعر أو شاعرية الشاعر لا تقوم على مجرد إدراك هذه العلوم؛ وإنما يرجع الأسلوب إلى "صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص،وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان، فيرصّها فيه رصا، كما يفعل البناء في القالب والنساج في المنوال، حتى يتسع القالب محصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من. الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة"[6]

فالأسلوب إذ ن حسب ابن خلدون هو ملكة تطبع الذوق تحصل بالاطلاع والتدرب على قراءة نماذج أدبية متميزة، وتتشكل بموجبها صور نموذجية للأساليب في الذهن، تمثل قوالب يتم استحضارها لتصب فيها التراكيب التي يتم اختيارها بما يوافق قواعد التركيب والاستعمال، ويحقق القصد من الكلام، فضلا عن ملاءمة فن القول.ويقترب منحى ابن خلدون السابق

[4]-المصدر نفسه، ص81.

[5]-ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408ه، ص570.

[6]-المصدر نفسه، ص570.

في تحديده لمفهوم الأسلوب من منحى الدارسين المحدثين كما سيتضح لنا لاحقا.

2-مصطلح الأسلوب ودلالته في الدراسات الحديثة:

تداول الأوروبيون لفظة الأسلوب منذ عهد أرسطو، فقد تحدث في كتابه "الخطابة" عنه، وقسمه إلى أسلوب متصل وأسلوب دوري، كما أنه فرق بين الأسلوب الجميل والأسلوب القبيح. واشتقت كلمة "style في اللغات الأوروبية من الجذر اللغوي "stylus" الذي يعني "ريشة" أو"القلم" في الأصل، ثم استعمل مجازا للدلالة على طريقة الكتابة، حيث ارتبط بطريقة الكتابة اليدوية (المخطوطات). وأطلق في وقت لاحق على التعبيرات اللغوية الأدبية، وصار يعني الطريق الخاص لاستعمال اللغة المميز للكاتب أو الخطيب[7].

وتم إدراج مصطلح الأسلوب في الدرس النقدي الألماني منذ أوائل القرن التاسع عشر في معجم جريم (Grimm). ويعود أول ظهور للفظة الأسلوب بوصفها مصطلحا في اللغة الإنجليزية حسب ما ورد في قاموس أكسفورد إلى سنة 1846م، في حين وردت في القاموس الفرنسي للمرة الأولى عام 1872م.[8]

ويجمع الباحثون المحدثون على أن الأسلوب من أهم المقولات التي توجد بين علمي اللغة والأدب، وأن دراسته ينبغي أن تتم في المنطقة المشتركة بينهما، وذلك بالرغم من عدم اتفاقهم على تحديده وتحديد الإطار النظري الذي تتم دراسته في نطاقه، الشيء الذي أدى بالكثير من الباحثين إلى

[7]- فضل صلاح ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط1، دار الشروق، مصر، 1998، ص 93.
[8]-المرجع نفسه، ص94.

إيراد تعريفات عديدة للأسلوب في مقدمات أبحاثهم التي كانوا يعقدونها لدراسة الظاهرة الأسلوبية.

وما من شك أن مصدر هذا التعدد في التعريفات يكمن في اختلاف الاعتبارات التي تقوم عليها، فهي تنطلق في مجملها من عملية التواصل أو التخاطب وعناصرها، وأهمها أركانها الثلاثة: المرسِل أو المخاطِب، المرسَل أو المخاطَب، والرسالة أو الخطاب، ولكنها تختلف في الزاوية التي تنظر من خلالها إلى هذه العملية. وفي ضوء ذلك، تتنوع المقاربات وتصنف حسب الركن الذي ترتكز عليه، وبالنظر إلى ذلك، يمكن أن نميز في تعريف الظاهرة الأسلوبية بين مقاربات ثلاث، نعرضها فيما يلي:

1.2-الأسلوب باعتبار المرسِل أو المخاطِب:

تعرّف طائفة من الباحثين الأسلوب باعتبار منشئه، وهو يعني وفقا لهذا الاعتبار التعبير الذي يكشف نمط التفكير عند صاحبه، ولذلك تداول أنصار هذا المنحى مقولة بيفون " Buffon" الشهيرة، والتي مفادها أن "الأسلوب هو الرجل نفسه".ويتجلى ذلك بوضوح في قوله:" إن المعارف والوقائع والاكتشافات تتلاشى بسهولة، وقد تنتقل من شخص لآخر، ويكتسبها من هم أعلى مهارة، فهذه الأشياء تقوم خارج الإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه، فالأسلوب إذن لا يمكن أن يزول ولا ينتقل ولا يتغير"[9].

والأسلوب وفقا لهذا المنحى يتسم بالفردية، فهو " صورة خاصة بصاحبه تبيّن طريقة تفكيره، وكيفية نظرته إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة

[9]- فضل صلاح، المرجع السابق، ص95-96.

انفعاله، فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب".[10] وهو على هذا الأساس لا يمكن الفصل بينه وبين منشئه، إنه لصيق به، يعبر عن شخصيته وخصائصه النفسية، وهذا البعد هو الذي يضفي على الأساليب سماتها التمييزية، ويكسبها طابع التفرد.

2.2-الأسلوب باعتبار المرسَل إليه أو المخاطَب:

تهتم هذه المقاربة بردود أفعال المتلقي، وذلك باعتبار "الظاهرة الأدبية وليدة مباشرة القارئ للنص."[11] ويعرف الأسلوب وفقا لذلك بسمات النص التي تترك أثرها على متلقيه، فهو-كما يستخلص من آراء شارل بالي "Charles Balley "-يكمن في جملة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيا على المستمع أو القارئ. ويرى بيير جيرو " Pierre Guiraud" أن الخطاب يتلوّن بأصباغ قصد التوصل إلى إثارة القارئ، شد انتباهه، إقناعه وإمتاعه.[12] ويذكر ميشال ريفاتير"Michel Riffaterre" أن هذه العناصر التي يعمد إبرازها في النص لشد الانتباه، تكتسب دلالات تمييزية عند تمكن القارئ من تحليلها، أما في حالة إغفاله عنها، فمصير النص التشويه.[13]

وفي ضوء ما سبق، يبدو تركيز أصحاب هذه المقاربة على المتلقي والدور الهام المنوط به لبلوغ الهدف من عملية التواصل. فمن دون وجود قارئ، لا يمكن الحديث عن تحقق الإبلاغ والتوصيل، ناهيك عن الإفهام والتأثير؛

---

[10]-الشايب أحمد، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م، ص134.

[11]- الطرابسي محمد الهادي، بحوث في النص الأدبي، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1988، ص19.

[12]-المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، بيروت، (د.ت)، ص83.

[13]-المرجع نفسه، ص83.

إنه "الحكم على الجودة أو الرداءة وهو الفيصل في قبول النص أو رفضه"[14].

3.2-الأسلوب باعتبار الرسالة أو الخطاب:

يتمثل الأسلوب بالنظر إلى نص الرسالة أو الخطاب في مجموعة الظواهر اللغوية المختارة التي تشكل عدولا، وفيما يتصل بها من إيحاءات ودلالات.

وتعريف الأسلوب بوصفه مجموعة من الظواهر اللغوية يعني أنه كامن في النص ويبرز في عناصره، وهذه مقاربة للأسلوب من منظور لساني، وهي ترتكز على فكر دي سوسور الذي من جملة ما ينص عليه أن اللغة تدرس في ذاتها ولذاتها، كما أنه ميّز بين اللغة والكلام. وفي ضوء ذلك، يتحدد الأسلوب بوصفه "العلاقة المميزة لنوعية الكلام داخل حدود الخطاب: وتلك السمة إنما هي شبكة تقاطع الدوال بالمدلولات ومجموع علائق بعضها ببعض ومن ذلك كله تتكون البنية النوعية للنص وهي ذاته أسلوبه"[15].وهو " موجود في ذاته يمتد حبل التواصل بينه وبين لافظه ومحتضنه لا شك ولكن دون أن تعلق ماهيته على أحد منهما"[16].

وكون العناصر الموظفة في النص مختارة يعني أن منشئه يختار من بين الإمكانيات اللغوية المتاحة عناصر ويؤثر استعمالها، وفي المقابل يستغني على أخرى تعد بدائل لها ويمكن أن تقوم مقامها.فالاختيار "هو استعمال خاص للغة يقوم على استخدام عدد من الإمكانات والاحتمالات المتاحة والتأكيد عليها في مقابل إمكانات واحتمالات أخرى"[17].

---

[14]-فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ط1، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص21.

[15]- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص90.

[16]-المرجع نفسه، ص88.

[17]- مصلوح سعد، الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985، ص33.

أما كون مجموعة الظواهر اللغوية المختارة تشكل عدولا، فهذا يعني أن النص الأدبي يشكل انزياحا بالنسبة للنص العادي، ويتحدد الأسلوب من هذا المنظور بكونه "الوظيفة المركزية المنظمة لذلك النص خطابا تركب في ذاته ولذاته"[18].

وبعد استعراض وجهات نظر الدارسين وتعاريفهم للأسلوب باعتبار المخاطِب أو المخاطَب أو الخطاب، تجدر الإشارة إلى أن تعريف الظاهرة الأسلوبية قد يعتمد فيه على إحدى الاعتبارات الثلاثة السابقة، كما قد يراعى فيه أكثر من اعتبار.ونناقش فيما يلي ما ترتب عن اختلاف الباحثين في تعريف الأسلوب في تحديد ماهية الأسلوبية.

3-الأسلوبية، مفهومها واتجاهاتها:

1.3-مفهوم الأسلوبية:

يعد مصطلح "الأسلوبية" المقابل العربي للفظ (stylistique)، كما أن مصطلح "علم الأسلوب" ترجمة للفظ (la science de style). ويذكر عبد السلام المسدي رائد الأسلوبية العربية أن المصطلح مركب من جذع ولاحقة. يتمثل الجذع في لفظ "أسلوب"(Style) ، وهو ذو مدلول إنساني ذاتي، ولذلك فهو نسبي، وقد اشتق من أصل لاتيني معناه "قلم". وتتمثل اللاحقة في لفظة "ية(ique)"، وهي تختص بالبعد العقلي العلمي، وهو بعد موضوعي. ومنه فالأسلوبية تهتم بالبحث عن الأسس الموضوعية الكفيلة بإرساء علم الأسلوب،[19] وتتوخى من المناهج العلمية وخاصة المنهج اللساني مرتكزا لسبر أغوار الخطاب والنفاذ إليه بعمق قصد تحليله وكشف الخصائص الكامنة فيه، والتي تميزه عن غيره من الخطابات، وتوظف لتحقيق أهدافها وسائل وأدوات متنوعة.

[18]- عزام محمد، الأسلوبية: منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1989، ص28.

[19]- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص33-34.

2.3-اتجاهات الدرس الأسلوبي:

ظهرت الأسلوبية وتحدد مجالها المفهومي في بداية القرن العشرين، وتزامن ذلك "مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة، التي قررت أن تتخذ من الأسلوب علما يدرس لذاته، أو يوظف في خدمة التحليل الأدبي، أوالتحليل النفسي، أو الاجتماعي، تبعا لاتجاه هذه المدرسة أو تلك".[20]

ولكن رواد البحث الأسلوبي في محاولاتهم إرساء دعائم العلم الجديد وتثبيت أركانه، أوردوا لمصطلح الأسلوبية تعاريف اتسمت بالتنوع والتعدد تعكس اختلاف مشاربهم وانتمائهم الفكري. ويعد هذا التنوع الذي شهده تعريف هذا المصطلح تابعا لتنوع تعاريف مصطلح الأسلوب ذاته.

ولعل أول تعريف يجدر ذكره في هذا السياق، وفي مقاربة شمولية هو التعريف الذي ورد عن شارل بالي مؤسس الأسلوبية نفسه، حيث يرى أن الأسلوب هو" تفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي، إلى حيز الموجود اللغوي"[21]، بينما يرى أن الأسلوبية تسعى إلى "إقامة ثبت لجملة من الطاقات التعبيرية الموجودة في اللغة بقوة".[22] ونستخلص من التعريف السابق أن الأسلوب هو استعمال للغة، وأن الأسلوبية تهدف إلى تقعيد ذلك الاستعمال وتقويمه بالنظر إلى إمكانات اللغة وطرائقها المتاحة للتعبير؛ وبتعبير آخر، تكمن مهمة أسلوبية بالي في" دراسة القيمة الأسلوبية للأدوات التي يستخدمها التفكير ليعبر عن نفسه. وتتجلى مهمة النقد الأسلوبي في تقويم الطريقة التي يعتمدها مستعمل الخطاب في استخدام المصادر الأسلوبية

[20]- أبوالعدوس يوسف، الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان-الأردن، 2007، ص39.

[21]- المسدي عبد السلام، الأسلوب والأسلوبية، ص89.

[22]-ينظر: المرجع نفسه، هامش الصفحة 89.

للغة."[23]ويفترض مفهوم القيمة الأسلوبية "وجود عدد من الطرق للتعبير عن الفكرة نفسها. وهذا ما نسميه بالمتغيرات الأسلوبية التي تشكل كل واحدة طريقة خاصة للتعبير عن المفهوم ذاته."[24]

وما من شك أن بلوغ الهدف السابق يقتضي أن تجد الأسلوبية لنفسها منهجا علميا مغايرا للمناهج التي عاصرت ظهورها في النقد الأدبي، والتي كان مرتكزها السياقات الخارجة عن النصوص، فضلا عن سيطرة التحليل الذاتي في النقد التقليدي. وفي ضوء ما سبق، تتحدد ماهية الأسلوبية-كما عرفها عبد السلام المسدي انطلاقا مما أقره الدرس الحديث-على أنها:" علم تحليلي تجريدي، يرمي إلى إدراك الموضوعية في حقل إنساني عبر منهج عقلاني يكشف البصمات التي تجعل السلوك الألسني ذا مفارقات عمودية."[25]

وفضلا عن التعريفات السابقة التي تكتسي طابعا تأصيليا شموليا، فثمة تعريفات أخرى تشير إلى تشعب مجال الدراسة الأسلوبية، نذكر منها تعريف منذر عياشي الذي عرف الأسلوبية بأنها:" علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، ولكنها-أيضا-علم يدرس الخطاب موزعا على مبدأ هوية الأجناس. ولذا كان موضوع هذا العلم متعدد المستويات، مختلف المشارب والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات." [26] وما من شك أن هذا التعدد والاختلاف والتنوع الذي يميز موضوع الأسلوبية مع طموحها إلى انتهاج المنهج العلمي في معالجة قضاياه، هو الذي أدى إلى تعدد "مدارسها

[23]- جيروبيير، الأسلوبية، تر: عياشي منذر، مركز الإنماء الحضاري، ط2، 1994، ص73.

[24]-المرجع نفسه، ص52-53.

[25]-المسديعبد السلام، الأسلوب والأسلوبية، ص33.

[26]-عياشي منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1436هـ-2015م، ص25، أو: مقالات في الأسلوبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق—سوريا، ط1، 1990، ص65.

ومذاهبها"[27]، وهو الشيء الذي انعكس كذلك في محاولات العلماء للتعريف بهذا العلم.

ويمكن إجمالا تصنيف تعاريف الأسلوبية وحصرها على اختلاف اتجاهاتها وفقا للاعتبارات الثلاثة التي تم وفقها تعريف الأسلوب، وهي: المخاطِب والمخاطَب والخطاب، حيث يمكن التمييز بين اتجاهات ثلاث اهتمت بحد الأسلوبية، نعرضها فيما يلي:

1.2-الاتجاه الأول:

وهذا الاتجاه يحيل إلى الترابط بين النص ومنشئه، وتعود فكرة الاهتمام بالكاتب في تحليل الخطاب إلى دوره في الاختيار من الإمكانات اللغوية المتاحة العناصر التي يوظفها في مختلف المواقف التعبيرية. وفضلا عن ذلك، فإن" الصورة اللفظية التي هي أول ما يلقى من الكلام، لا يمكن أن تحيا مستقلة، وإنما يرجع الفضل في نظامها اللغوي الظاهر إلى نظام آخر معنوي، انتظم وتألف في نفس الكاتب، أو المتكلم؛ فكان بذلك أسلوبا معنويا، تكوّن التأليف اللفظي على مثاله، وصار ثوبه الذي لبسه، أو جسمه، إذا كان المعنى هو الروح."[28]

ويستمد التحليل الأسلوبي إطاره النظري وفقا لهذا المنظور من مقولة بيفون ومن حذا حذوه في تعريف الأسلوب مثل: فلوبيروشوبنهاور وماكس جاكوب وبروست؛[29] ولأن الأسلوب حسبهم هو الرجل، وعن طريقه يمكن

[27]- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص25.

[28]-الشايب أحمد، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط12، 2003، ص40.

[29]-عياشي منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص31.

النفاذ إلى نمط تفكير الكاتب، فإن الأسلوبية تهتم بدراسة " معتقد الكاتب، ونظرته إلى القضايا، وانفعالاته".[30]

2.2--الاتجاه الثاني:

يولي صحاب هذا الاتجاه الذي من رواده ريفاتيروجاكبسون[31] أهمية لدور المتلقي في عملية توصيل الخطاب، وهو يشكل بذلك مرتكزهم في تحليله، وفي تحديد الإطار المفهومي للأسلوبية. وكما يعد الأسلوب من هذا المنظور قوة ضاغطة على المتلقي أبرز عناصرها التأثير والإقناع والإمتاع[32]، فإن الأسلوبية تهتم بدراسة التأثيرات التي تحدثها هذه القوة فيه. وفي ضوء ما سبق، فإنه "يمكن إدماج القارئ في النظرية الأسلوبية كمتلق يعتد بدوره في تحديد التأثير داخل عملية التواصل الأدبي."[33]

وفكرة التأثير هذه تبلورت في أسلوبية بالي الذي يرى أن "أصل الأسلوب هو إضافة ملمح تأثيري إلى التعبير، ولا شك أن هذا الملمح التأثيري ذو محتوى عاطفي"[34]، وعرف "سيدليرseidler" الأسلوب والأسلوبية معتمدا على هذا المحتوى وباعتبار وجهة نظر المتلقي، حيث يقول: "الأسلوب هو طابع العمل اللغوي وخاصيته التي يؤديها، وهو أثر عاطفي محدد يحدث في نص ما بوسائل لغوية، وعلم الأسلوب يدرس ويحلل وينظم مجموعة

[30]- النحوي عدنان علي رضا محمد، الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية، دار النحوي للنشر والتوزيع، 2003، ص65.

[31]- المرجع نفسه، ص67.

[32]- عبد الجواد إبراهيم، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 1996، ص42.

[33]- فضل صلاح، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، ص97.

[34]-المرجع نفسه، ص97.

الخواص التي يمكن أن تعمل- أو تعمل بالفعل-في لغة الأثر الأدبي، ونوعية تأثيرها، والعلاقات التي تمارسها التشكيلات الفعالة في العمل الأدبي."[35].

3.2-الاتجاه الثالث:

يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن محط الاهتمام في الظاهرة الأسلوبية هو الخطاب، فهم يرون-كما يرى بالي نفسه -أن "الأسلوب هو الاستعمال ذاته،"[36] ونظرتهم هذه تستمد مرجعيتها من مبادئ النظرية اللسانية البنوية التي أقام صرحها ديسوسور. والأسلوبية من هذا المنظور"تتحدد بكونها البعد اللساني لظاهرة الأسلوب، طالما أن جوهر الأثر الأدبي لا يمكن النفاذ إليه إلا عبر صياغاته الإبلاغية."[37] وتدرّج هذ التوجه اللساني في تطوره ليتخصص "بالبحث عن نوعية العلاقة الرابطة بين حدث التعبير ومدلول محتوى الصياغة."[38]

وأما عن علاقة هذا الاتجاه بأنماط الخطاب، فتجدر الإشارة أن الأسلوبية في مقاربتها اللسانية تهتم بمعالجة الخطاب التعبيري العادي، مثلما تهتم بمعالجة الخطاب الفني الأدبي، فكما "أن اللغة ليست حكرا على ميدان إيصالي دون آخر فإن علم الأسلوب ليس حكرا-هو أيضا-على ميدان تعبيري دون آخر."[39]

وفي ضوء ما سبق، تكمن وظيفة الأسلوبية وتتحدد ماهيتها بأنها "علم نحوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية، فتميزه عن غيره، إنها تتحرى

[35]- فضل صلاح، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، ص97.

[36]-المسدي عبد السلام، الأسلوب والأسلوبية، ص 89.

[37]-المرجع نفسه، 34-35.

[38]-المرجع نفسه، ص35.

[39]-عياشي منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص25.

الظاهرة الأسلوبية بالمنهجية العلمية اللغوية وتعتبر الأسلوب ظاهرة هي في الأساس لغوية تدرسها في نصوصها وسياقاتها."[40]

وعند ما يتعلق الأمر بتحليل الخطاب الفني على وجه الخصوص، يعرف جاكبسون النص الأدبي " بكونه خطابا تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام،"[41] ويتعين بذلك مفهوم الأسلوب عنده –كما سبق الذكر- أنه "الوظيفة المركزية المنظمة،"[42] كما يتعين عنده مفهوم النص بكونه "خطابا تركب في ذاته ولذاته."[43]

وينتج الأسلوب حسب جاكبسون عن "تطابق لجدول الاختيار على جدول التأليف،"[44] حيث يتحدد بتوافق عمليتين: عملية اختيار المتكلم من الرصيد المعجمي للغة لأدوات التعبير، وعملية تأليف هذه الأدوات فيما بينها في السياقات الكلامية، وذلك وفقا لما تقتضيه قواعد النحو في بعضها، ولما تسمح به سبل التصرف في الاستعمال في بعضها الآخر.

ويترتب عن آراء جاكبسون السابقة فيما يتعلق بمجال البحث الأسلوبي أمران:

1-تبحث الأسلوبية "عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا."[45] وفي سبيل تحقيق الهدف الأول، فإن وظيفة التحليل الأسلوبي هي الكشف عن

[40]- بن ذريل عدنان، اللغة والأسلوب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، ط1، 1980، ص140.

[41]- المسدي عبد السلام، الأسلوب والأسلوبية، ص92.

[42]-المرجع نفسه، ص92.

[43]- المرجع نفسه، ص93.

[44]- المرجع نفسه، ص96.

[45]- المرجع نفسه، ص37.

السمات اللغوية التي تجعل النص ينتقل من سياق الإخبار ليكتسب وظيفة تأثيرية وجمالية.[46]

2-التحليل الأسلوبي "لا يعدو أن يكون تفكيكا للعناصر المكوّنة لجهاز الإبلاغ لتتبع ما يحدث بينها عند التفاعل وما ينقطع عند الانفصال وذلك بطريق العزل والضم حتى تتجلى المفارقات والمقاربات اختياريا."[47]

خاتمة:

إن الدراسة التحليلية للمفاهيم التأصيلية لمصطلح الأسلوبية ومناقشتها في ضوء المفاهيم التي حدد من خلالها موضوع بحثها: الأسلوب، تبين بوضوح أن المفاهيم التي أفردت لتحديد العلم اتسمت بالتنوع والتعدد، وهي بذلك تعكس من دون شك اختلاف مشارب الباحثين الدارسين وانتمائهم الفكري، ولكنها في الوقت ذاته تعكس ارتباط العلم بموضوع درسه.إن التنوع الذي شهده تعريف مصطلح الأسلوبية مرده تنوع تعاريف مصطلح الأسلوب ذاته.

وتجدر الإشارة إلى أن كل الاتجاهات الدرس الأسلوبي باعتبارها تأثرت بالنظرية اللسانية الحديثة، تنطلق من النص أو الخطاب وليس من عوامل أخرى خارجة عنه، مثلما كانت المناهج التقليدية التي سادت قبلها أو عاصرتها، وهي تهتم به بوصفه يمثل انزياحا بالنسبة إلى نماذج أخرى.

وإنما تختلف هذه الاتجاهات في الزاوية التي تنظر من خلالها إلى الأسلوب والتي تتحدد من خلالها ماهية الأسلوبية واتجاهاتها. فحينما تنظر إلى الأسلوب من جهة مبدع الخطاب، تهتم الاسلوبية بالبحث عن السمات الاسلوبية التي تبرز مكنونات شخصيته،والتي تشكل عوامل

[46]- المسدي عبد السلام، الأسلوب والأسلوبية، ص36.

[47]- المرجع نفسه، ص93.

تفرده، وهي تحيل بذلك إلى دوره في الاختيار من الإمكانات اللغوية المتاحة العناصر التي يوظفها في مختلف المواقف التعبيرية؛ وعندما تعنى بالمتلقي،يتجه البحث إلى دراسة التأثيرات التي يحدثها الأسلوب فيه باعتباره قوة ضاغطة عليه أبرز عناصرها التأثير والإقناع والإمتاع؛وأما عندما يكون محط الاهتمام هو الخطاب نفسه، فالمعتبر هو البعد اللساني،وبذلك يكون التركيز على بنيته وصياغته باعتبارها الوسيلة التي تتيح النفاذ إلى جوهر الأثر الأدبي.

**<u>المصادر والمراجع:</u>

1-ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ.
2-ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، مج1، ط1، دار صادر، بيروت. 1955،
3-أبو العدوس يوسف، الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان-الأردن، 2007.
4-ابن ذريل عدنان، اللغة والأسلوب، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، 1980.
5--الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة-بيروت، 1421هـ، 2001.

6-الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1404هـ.
7-جيروبيير، الأسلوبية، تر: عياشي منذر، ط2، مركز الإنماء الحضاري، 1994.
8-الشايب أحمد، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط1، (د.ت).
9-الشايب أحمد، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط12، 2003.
10-الطرابلسي محمد الهادي، بحوث في النص الأدبي، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1988.
11-عبد الجواد إبراهيم، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 1996.
12-عزام محمد، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1989.
13-عياشي منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 1436هـ-2015.
14-عياشي منذر، مقالات في الأسلوبية، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، 1990.
15-فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ط1، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990.
16-فضل صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءته، ط1، دار الشروق، مصر، 1998.مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964.

17-المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، بيروت، (د.ت).
18-مصلوح سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985.
19-النحوي عدنان علي رضا محمد، الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية، دار النحوي للنشر والتوزيع، 2003.

جوانب من نشاط النحاة الجزائريين
منذ القرن التاسع الهجري.

Aspects of the activity of Algerian grammarians since the ninth century AH.

بلحاج جلول* Belhadj Djelloul	بلحاج ميلود Belhadj Miloud
دكتوراه علوم المركز الجامعي بالبيض PHD in University Center in Al-Bayadh	دكتوراه علوم جامعة تلمسان PHD in University in Telemcen
. 0664977600 . Djelloulogbi46@hotmail.com	. 0657423833 belhadjmiloud2017@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/12/19 -تاريخ القبول: 2021/02/25- تاريخ النشر:2021/12/26.

الملخص:

من المؤكد أن النحاة الجزائريين قد اشتغلوا بالدرس النحوي أسوة بغيرهم في المشرق، وإذا كانت المصادر والوثائق لا تسمحُ بالتأريخ لذلك، فإن في القرون التالية خصوصا التاسع منها ما يسمحُ وبشكل مكثَّف بالدلالة على الجهود المبذولة في التحصيل والتدريس والتأليف زيادة على ضرورات الرحلة العلمية. كما يسجل الباحث التعاطيَ المستمر مع الإنتاج النحوي سواء زمنَ الموسوعات اللغوية أو زمن المقررات الدراسية؛ حيث يستمر تدريس النحو العربي، ويُتوسع في التأليف المستقل أو المبني على جهود مشرقية أو مغربية أو محلية، وهو كثير كما في المنجز على الأجرومية تحديدا؛ بل إن تلك الجهود وجدت لتستمرّ زمانا خارج الوطن، مع تحصيل الأسانيد العلمية المتصلة بفنّ العربية. وأختم بالإشارة إلى أن النحوي هنا مراد به المشتغل بالنحو تدريسا وتأليفا مع شرط التمكن من ذلك.

الكلمات المفتاحية: النحو؛ الدرس؛ التأليف؛ الرحلة؛ الجزائر.

*المؤلف الأول

Summary:

It is certain that Algerian grammarians have worked in the grammatical lesson similar to others in the East, and if the sources and documents do not allow history for that, however, the following centuries, especially the ninth of them, allow intensively to indicate the efforts exerted in the collection, teaching and writing in addition to the necessities of the scientific journey, The researcher records the continuous engagement with grammatical production, whether during the time of linguistic encyclopedias or academic courses, as the teaching of Arabic grammar continues and expands on independent writing or based on the efforts of the East, Moroccan or local, which is many, as in the Ajromiya. Rather, these efforts were found to last for a time outside the country, with the acquisition of scientific evidence related to the art of Arabic.

Key words: grammar, lesson, composition, journey.

مقدمة:

ارتبطت العربية بنصوص الملّة المحمدية وهي تدخل المغرب الإسلامي، وربما كان من أسباب تأخر الفتح حاجزُ اللغة المختلفة، وما يكون قد سبق إلى البربر من اللسان الخاص. ولا يخفى أن الدخول في الدين الجديد كان من مقتضياته التمكن من العربية باعتبارها وسيطا أساسيا، كما لا يخفى أيضا أن العربية لم تشترط التخلي عن غيرها. إنّ الذي حدثَ هو أن الاهتمام تركز وبشكل كبير ومكثف على لغة القرآن والحديث والنصوص الفقهية، والحركة الثقافية عموما.

كان من نتائج ذلك حصول ذلك الاشتغال الواسع والمستمر بالعربية أصولا وفروعا، قضايا ومسائل، وحدثتْ لذلك الرحلة إلى المشرق بعد الذي وفدَ منه إلى المغرب أعقابَ الفتح، وتمَّ تبادل الدرس النحوي فترسّخ ذلك بشيوع حركة التدوين الواسعة، وهو ما سمح بتداول الكتب والمقرَّرات، ودواوين العربية ومعاجمها...وقد سجّل المهتمون بالتأريخ

الثقافي لهذه الحركة العلمية العريقة شيئا قليلا في بداية الأمر أخذ يتوسع، ويتركز على ما انتهى إليه الدرس اللغوي عموما بالوطن الإسلامي.

ولابد من الإشارة هنا إلى أنّ مفهوم "النّحوي " هنا هو من يشتغل بالدرس النحوي سواء في التحصيل أو التدريس أو التأليف تحديدا، وإنْ لم أتطرقْ إلى اختيارات النّحاة الجزائريين، فإن له مجالا آخر غير هذا المقال إذ كان القصد الإشارةَ لا غير.

- **الإشكالية**: ونظرُ الباحث هنا إنّما هو محاولة بيان مدى مواكبة جهود النّحاة الجزائريين للدرس النحوي السائد بالمشرق والأندلس، ومدى إسهامهم في إغناء مُنتَجه، وهل كان ذلك الإسهام أصيلا، أمْ بني على أصول مشرقية أو مغربية؟ كما يبحث المقال عن جذور ذلك الإسهام وعن امتداده أيضا.

- **أهداف بحث الموضوع**: وهدف المقال الإشارة ولو بإيجاز إلى ما بُذل من الدرس النحوي خدمةً للعربية من جميع جهات الوطن بما في ذلك أرض توات، ومن جميع المكوّنات البشرية لسكانها على اتساع الجغرافيا وتطاول فترات التاريخ؛ لتبقى مسؤولية الجميع قائمة وملحَّة في المعاهد والمدارس والجامعات والمواقع الإلكترونية؛ محافظة على العربية لغة القرآن أمام المدّ الذي يستهدف إضعافَ لسانها وبيانها بين أبنائه.

- **منهج البحث**: يكفي هنا مقاديرُ مناسبة من عرض المادة العلمية مع تحليل بعض عوامل توافرها، واعتمادها في الحركة الثقافية التي كان النحو العربي أحدَ مكوناتها الأساسية، تحصيلا وتدريسا وتأليفا...

- **الدراسات السابقة**: هناك اهتمامات علمية كبيرة تقليدية وأكاديمية تعرضت لجهود النّحاة الجزائريين في إغناء الدرس النحوي خصوصا، وإثراء الإنتاج العلمي...ومدّ الجسور بين المتقدمين والمعاصرين من أبناء الوطن الواحد. نذكر جهود المرحوم بلقاسم سعد الله في التاريخ الثقافي

الجزائري، ومَعْلمة الأستاذ بلقاسم ضيَّف، والجهود النّحوية لعلماء توات...والرسائل العلمية الحديثة. وهي كلّها وغيرها قد اعتمدها الباحث مراجعَ لمقاله. غير أن رسم الصورة بما يجمع بين التحصيل والتدريس والتأليف، إضافة إلى وصل الأسانيد العلمية للمدرسة النحوية بالجزائر وهو مما انفرد به صاحب المقال ولابد.

1 ـ تمهيد.

لا يسمح الموجودُ من التأريخ الثقافي للدرس اللغوي بوطن المغرب الأوسط بكثير من التفاصيل في القرون الأولى؛ يعود ذلك لتأخر حصول الفتح الإسلامي أولا، ولقلّة تدوين الحركة الثقافية نسبة إلى ما حصل بالمشرق، وثالثا لصعوبة التمييز بين دول المغرب في القرون المشار إليها خصوصا ما قبل القرن الرابع الهجري. إنما سمحت بعض المحدّدات كنَعْت أعيان العلماء: بالبجائي، والتاهرتي، والأوراسي... بمعرفة بعض ذلك النشاط العلمي من جهة تعيين الشخصيات أو المدارس وكذا المقررات العلمية، والإنتاج الفكري عموما.

ومع تقدم الزمان أمكن إحصاء كمّ جيّد من التأريخ الثقافي للدرس العلمي، سواء تعلق الأمر بالشرعيات أو ما يُسندها من علوم الآلة: اللغة والمنطق والتاريخ... غير أنّ تحديد زمان البحث بالقرن التاسع يتعافى من أكثر تلك العوائق، ويكتسب محددات وملامحَ أكثر وضوحا واتساعا، ويمكن بالتالي تسجيل كمّ هائل من الجهود اللغوية مختلفة الفنون، متفرقة على اتساع المكان وتطاول الزمان.

وعلى هذا النّسق نستعرض نشاط النحاة الجزائريين بداية من تحصيل مادة اللغة العربية داخل الوطن أو ما تيسّر للطلبة يومها من الرحلة شرقا وغربا، وكذلك من جهة التدريس في المدارس والمساجد والزوايا وبيوت العلماء... مع تسجيل المقررات العلمية التي انتهى الدرس اللغوي

وخصوصا النحوي إلى اعتمادها، ونختم الحديث عن الذي تيسر من التأليف من جهة نحاة الوطن الجزائري.

ومن الجيّد الإشارة إلى وصل أسانيد الفنون العلمية في ميدان اللغة بغيرها من المدارس وطبقات العلماء، والتآليف العلمية؛ إذ كان ذلك يعكس مدى الصلات العلمية التي تيسرت للنحاة الجزائريين بغيرهم من علماء ونحاة الوطن الإسلامي.

2: نشاط التحصيل العلمي.

مع شيوع الطلب داخل الوطن، وكذا تيسره خارجه إلا أننا هنا إنما نعتمد على النصوص التي توثق لذلك لا مجرد الاستنتاج أو الإشارات العامة، فقد ذكر السخاوي أن عبد الله بن يوسف الحسناوي البجائي (ق 09هـ/15م) أخذ عنه وأنه لقيه، وغالب ذلك كان بمصر أو بمكة كما تفيده نصوص أخرى، فقد قال: " أخذ عني الألفية وقرأ عليّ الموطأ بتمامه، وكتبتُ له إجازة كاملة."[1] . وفي هذا النص إشارة إلى ما انتهى إليه الدرس اللغوي من اعتماد ألفية ابن مالك مقررا للتدريس في المعاهد العلمية.

وقد كان يحي بن عبد الرحمان العجيسي (862هـ/1458م) ممن رحل قديما في طلب العلم، من مكان مولده بأرض عجيسة فقد: " نشأ ببجاية وتعلم بها وبقسنطينة وعنابة وتونس، فأخذ عن أشياخها علوم الفقه والحديث والتفسير والنحو والمعاني والبيان وغير ذلك، ورحل إلى المشرق..." [2]. قال السخاوي في ترجمته: " كان إماما نحويا فصيحا مفوَّها،

[1] - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر (مؤسسة نويهض، لبنان، ط01، 1982م)/ 37، الضوء اللامع 72/3.

[2] - معجم أعلام الجزائر: 229، الضوء اللامع 72/10، البدر الطالع 232/2.

قويَّ الحافظة..."[1]. وكفى بهذه الشهادة تزكيةً لهذا الفاضل من جهة عارف بالرجال وأقدارهم في العلم والدين.

ونسوق ههنا نصوصا عن شخصيات من أرض توات رحلت قديما في طلب العلم، وحضَرتْ دروسا على أعيان الوطن في فنونَ متعددة منها النّحو؛ فهذا عبد الكريم بن محمد التواتي (1042هـ/1633م) يأخذ عن الشيخ سعيد قدّورة مفتي الجزائر، فقد " التقى به الشيخ في مدينة بني عباس التابعة لولاية بشار في جنوب الغرب الجزائري، فجعل منه إماما نحريرا في علم النحو، وفي شهر صفر من عام سبعة عشر بعد الألف ابتدأ معه قراءة ألفية ابن مالك... "[2]. وهذا النّص يفيد الحركة الدؤوب التي كان يقوم بها المشايخ والطلبة على حد سواء. ذلك أن مدينة بني عباس تقع في الجنوب الغربي لوطن الجزائر.

وفي النّص التالي أن محمد بن علي الوَقْرُوتي (1062هـ/1653م) قد " درس على عبد الكريم التواتي النّحو حتى لم يكدْ يُعرفُ إلا به."[3]. وهي عبارة تفيد طولَ الصّحبة، وإتقانَ المقرر العلمي انفرد أو تعدد، ومحاولة التخصص في فنّ محدد أكثر من العناية بغيره. ومن الواجب أن نشيرَ هنا إلى الإلمام الحاصل للطلبة في جملة الفنون، خصوصا الفقه، إذ كان محطَّ اهتمام النشاط العلمي، وتفاصيل الحياة الإسلامية.

ولا يخفى أنّ الفترة الاستعمارية لم تقطع الاهتمامَ بالدرس النّحوي في كامل الوطن، غير أن الوتيرة كانت قد زادت في التناقص. إنّ هجرة العلماء وصعوبة الظروف بالمدارس على فرض تيسرها تفسّر لنا ذلك التناقص

[1] - معجم أعلام الجزائر. / 230.

[2] - عبد الله عماري، الجهود النحوية لعلماء منطقة توات (رسالة دكتوراه جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر، 2015م) / 18.

[3] - الجهود النحوية .ص: 18.

المسجّل. وقد شهدت الحركة العلمية في الدرس النّحوي انطلاقة جيدة بعد الاستقلال الوطني في المعاهد العلمية، والجامعات الوطنية اشترك في ذلك الأساتذة من أجانب وجزائريين، وأثمرت استمرارا واسعا، وإنتاجا تغلب عليه النّزعة الأكاديمية دون أن تفقده نجاعتَه.

03: نشاط الدرس النحوي.

نقصد بالدرس النحوي هنا ما قام به المشايخ على اختلاف تخصصاتهم من نشاط التدريس لمقررات النّحو، إما بالقصد كتدريس المقررات مثل الألفية والتسهيل لابن مالك، والمقدمة لابن آجرُّوم، وقطر الندى وشذور الذهب لابن هشام الأنصاري وغير ذلك. أو بمباحث النّحو التي كانت تتخلل تدريس الفنون العلمية. وعلى كلّ حال فقد قام شيوخ المدارس والمساجد والزوايا والمعاهد العلمية والجامعات قديما وحديثا بجهود كبيرة، ومضنية في نفس الوقت خدمة للغة العربية ممثلة في الدرس النحوي أساسا. وإذا كان التأليف في ذلك محدودا فهو مع ذلك كاف للإشارة إلى الجهد المبذول في هذا السياق؛ فإنه يكفي أيضا للإشارة إلى ما بذل ويبذل من جهود التدريس والتعليم.

ونحن نشير دون قصد الاستكثار فضلا عن الاستيفاء إلى بعض ذلك داخل وخارج الوطن، مثاله ورد في ترجمة إبراهيم بن علي المخزومي الشافعي (891هـ/1486م) من أنه قرأ بمصر على أبي الفضل البجائي (866هـ/1460م)، وعلى تقي الدين الشمُنّي. وعبارة السخاوي في كتابه الضوء اللامع: " وَسمع على ثَانِيهمَا - البجائي - شَيْئا مِنْهَا [الألفية] والتقي الشمني، قَرَأَ عَلَيْهِ فِي رحلته الأولى الْمُغنِي مَعَ حَاشِيَته عَلَيْهِ"[1].

وطريقة التدريس بالمعاهد والمساجد والزوايا وفي بيوت العلماء كانت على وفق التقاليد المستمرة هنا بعموم المغرب الإسلامي، وخصوص وطن

[1] - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. ج 1/ 90.

الجزائر. إن شيوع اعتماد المقررات العلمية التي تمّ إنتاجها هاهنا بالمغرب أو قَدمَت من المشرق قد أعاد تشكيل منهجية التدريس بربطه بعبارة المتن وما يتم تداوله من الشروح والحواشي عليه، إضافة إلى تعليقات الشيوخ أثناء الدروس.

ومن المفيد هنا أيضا أن نشير إلى أن الحفظ المشار إليه كانت له نسبة لا تتجاوز نسبة الوسائل إلى المقاصد المعرفية، ربما كان ذلك لانعدام ثقافة الكتاب والمكتبة في المدارس بصفة عامة. وأما الشرح والفهم والاستيعاب ومن ثم تحصيل الملكة العلمية سواء في التحصيل أو التدريس أو التأليف، فقد كان هو المقصد إلا أنه وبدخول القرن العاشر، وانصرام قرن النبوغ العلمي وهو القرن التاسع تحديد، قد صار الحفظ مقصدا يساوي الشرح وتحصيل الكفاية المعرفية. ربما لم يحدث ذلك في زمن واحد متقارب غير أن خط السير كان يجري لصالح تغليب جانب الحفظ على الفهم والاستيعاب، وهو ما يفسر النبوغ في ضبط المحفوظ دون النبوغ في مادة العلم ومصطلحاته.

ومن الضروري أيضا أن نُشير إلى أن نشاط التدريس ظل مستمرا حتى في اللحظات التي كانت يتعسر فيها الاستقرار الاجتماعي للدولة الوطنية، بما في ذلك فترة الاستعمار حيث تتعطل أرزاق العلماء، ونفقات الطلبة، ومع ذلك نسجل استمرارا في أداء الواجب على العلماء من التعليم.[1]

4 _ نشاط التأليف.

ما تقدم كان بخصوص جهود التحصيل العلمي للمادة النحو العربي، استجماعا للقدرة على تدريسه في المدارس والزوايا والمساجد، وحيثما تيسر للشيخ أن يقوم بما هو واجب عليه من أمانة نشر العلم وتعليمه. ونحن نُردف ذلك بالحديث عن نشاط تابع للتدريس تعاطاه كثير من

[1] - تاريخ الجزائر الثقافي. ج 8/ 45.

المدرسين قياما بواجب البحث العلمي، وهو ما يوفر للطالب مادة العلم مدونة في الكتب ومتيسرة في المكتبات. وهذا الذي يتعاطاه المؤهلون من المدرسين تمليه في كثير من الأحيان تقاليد العلم من ادخار الصدقات الجارية عبر بلاد الإسلام، ومرات أخرى لإسعاف الطلبة بالمقررات العلمية التي يندر وجودها بين أيديهم؛ ولأجل هذا تكثر الشروح على المتون المقررة رغم وجود جهود للسابقين حولها، وما ذاك إلا نظرا من المدرسين حول مستوى طلبتهم، ما يصلح لهم من عبارات الشرح، والحاشية، وما يراعي قدراتهم في حال ضعفها، أو صعوبة الشروح المتداولة، وهكذا...

ونبحث هذا العنصر بتقسيمه إلى التآليف المستقلة نثرا وشعرا، والتي ابتدأها أصحابها دون أنْ تكون متعلّقة بعمل آخر اختصارا أوبسطا بالشرح أو الحاشية، أو التعليق والتقرير...أو كانت مبنية على عمل آخر مغربي أو مشرقي بأنواع المذكور أعلاه.

1 . 4 - التآليف المستقلة.

تمّ إحصاء كمّ جيد من تآليف الجزائريين في النّحو سواء كان بطريق النثر أو النظم، وهذه التآليف تختلف في حجمها بين تأليف صغير وكبير، مع ملاحظة أن مقاديرها أخذت في التناقص بطول العهد، ويمكن للباحث أن يحتمل أسبابا لذلك التناقص هل هو لتوفّر المادة العلمية بالمدراس، من متون وشروح وحواشي، و كفاية ما هو موجود من التآليف على المقررات العلمية مشرقية أو مغربية، أم أنّ القدرات العلمية للمدرسين قد أخذت في التناقص إلى ذلك العهد، واندرس بالتالي سوق العلم إلا قليلا ممّا كان يتاح من النبوغ داخلَ الوطن أوخارجه، أم أن التركيز كان أكثر على التدريس والحفظ، لا التوسع بالبحث والمطالعة.

إن تفسير الظاهرة بتعدد الأسباب يبدو أكثر وجاهة؛ لأن هذا التناقص لم يحدثْ طفْرة، وربما زدنا إلى ذلك ضعف مستويات الطلبة مما استدعى الحاجة إلى التدريس المستمرّ، والاكتفاء بما هو مشهور وموجود من المقررات وشروحها.

2.04- الإنتاج النثري في موضوعات النحو العربي.

يطالعنا القرن التاسع الهجري محلّ الدراسة بعمل أحمد بن حسن بن قنفد القسنطيني (809هـ/1406م)، جعل عنوانه " الإبراهيمية في مبادئ علم العربية."[1]. وابن قنفد المذكور من أهل قسنطينة وكان قد رحل إلى مدينة فاس بنية الإقامة بها، حيث مكَث تسعة عشر سنة، ليعود بعدها إلى بلده الأصل.

كما ألف تلميذه محمد بن مرزوق الحفيد (842هـ/1438م) الشخصية العلمية البارزة في القرن التاسع، والذي دارت عليه أسانيد أهل زمانه، فقد عمل رسالة "المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج"، قال من اطلع عليها أنه أجاب به ابنَ السراج عن مسائل نحوية ومنطقية."[2]، ولابن مرزوق الحفيد رسالة "الأوسط "، وكذا "الأصغر". وهذا الأخير فيما يبدو هو المسمى "الاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب."[3]. وواضع من العنوان أن موضوعه النحو العربي.

ومن تلامذة ابن مرزوق المذكور نجد عبد الرحمان الثعالبي (875هـ/1469م)، فمع ما له من التآليف المتنوعة المذكورة في التفسير والفقه وغير ذلك، قد ألف في النحو ما يتصل موضوعه بالتفسير كما في كتابه " تحفة الإخوان في إعراب آي القرآن"، وللثعالبي أيضا " الذهب

[1] - الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام 16/2، معجم أعلام الجزائر 269.

[2] - معجم أعلام الجزائر 291،

[3] - معجم أعلام الجزائر 291،

الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز." [1]. ونلاحظ هنا أن تقديم التأليف على هذا الشكل المرتبط بالقرآن كما ههنا، يقدم شكلا من النحو التطبيقي الذي يتم فيه إعمال قواعد النحو، مع ما يقتضي ذلك من التحري والدقة العلمية، لتعلق الأمر بنصوص الكتاب الكريم، زيادة على ما في ذلك من استيفاء الخلاف، وتوجيهه العلمي. وهي مباحث عزيزة تزيد على كم التنظير الموجود في المقررات العلمية، والتي غالبا ما تخلو من مقادير كافية من التطبيق باستثناء الشواهد النحوية...

وفي باب التطبيقات النحوية والصرفية تبعا، ألف عبد الكريم بن محمد التواتي (1042هـ/1633م) رسالة غاية الأمل في إعراب الجمل."[2]، لعله استجاب بها إلى ما رآه ضروريا من إلمام الطلاب بإعراب الجمل، وما في ذلك من الوجوه النحوية والتفصيلات العلمية. ولا يخفى أن التطبيقات النحوية لما يقرأه الطلبة من المتون العلمية، وإعراب الجمل خصوصا يجد فيها المطالع كثيرا من الصعوبات، وتسجّل فيها كثيرٌ من الحاجات.

وممن كتب في أواسط القرن الثالث عشر الهجري في بعض أهم قضايا النحو والعربي وقواعده، محمد الصالح بن سليمان الرحموني (1242هـ/1826م)، فمن آثاره "ميزان اللباب في قواعد البناء والإعراب."[3].

ولا يفوتني أن أشيد بالعمل العلمي الكبير الذي يذكر بعمل المتقدمين، وإسهاماتهم العلمية المميزة، فقد أشارت كتب التراجم إلى الشيخ عبد العزيز الثميني (1223هـ/1808م)، فمع تخصّصه في الفقه الإباضي

[1] - توجد منها نسخة عند ضيف بلقاسم: 336.

[2] - الجهود النحوية لعلماء توات. ص: 25.

[3] - رضا كحالة، معجم المؤلفين 83/10، نسخة منه بمكتبة الشيخ محمد بن عزوز القاسمي.

تحديدا، يذكر له " شرح المغني لابن هشام "[1]. وكتاب المغني لابن هشام له مكانته العلمية في المشرق والمغرب الإسلامي ولا تزال، ولا تخفى قيمته المعرفية.

والذي ينبغي التنبيه إليه أن الدراسات الجامعية قد نقلت الموضوعات النحوية من مجرد عرض القضايا والمسائل مع ما تتضمنه من المباحث العلمية التعليلية، والتأصيلية المتفرقة في الأبواب المتباعدة إلى جمع أطراف الموضوع الواحد من الأبواب المختلفة. انتشر إذن نشاط البحث في النظريات النحوية، وتتبع تطبيقاتها في موضوعات اللغة، وقام الأساتذة من الجيل الأول بالإشراف على نشر ما تعلموه من أساتذتهم الأجانب من عرب وغربيين، وأنتج ذلك ولا يزال كما هائلا من الاهتمام بقضايا النحو، فغطّت جهود الأفراد كامل مسائل النحو أو كثيرا من قضاياه بالتنظير والتعليل، وأخضعت موضوعات النحو العربي إلى قوالب المدارس النحوية الغربية فنفع ذلك كثيرا وربما أنتقد شيءٌ منه.

أكتفي بشخصين منهما مازن عبد القادر المبارك الجزائري (معاصر) له أعمال منها: " العلّة النحوية نشأتها وتطورها، والرُّماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، والزجاج حياته وآثاره ومذهبه النحوي من خلال كتابه الإيضاح، وله المباحث المرضية المتعلقة بمَن الشرطية، والمقتضب في اسم المفعول من الثلاثي."[2]، وأستاذنا الدكتور عبد الكريم بكري حفظه الله له رسالة: ابنُ مضاء وموقفه من النحو العربي[3]. وهي رسائل علمية

[1] - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 1994م) ج580/03.

[2] - وله أعمال أخرى أكثرها مطبوع بسوريا، بلقاسم ضيف 340.

[3] - طبع بديوان المطبوعات الجزائرية.

مبكرة في الإنتاج النحوي عكست ملامح التجديد في عرض مادة النحو العربي.

04. 3- الأنظام النحوية في تآليف النحاة الجزائريين.

تَقدم أن الأجرومية قد حازت القبول في الأوساط العلمية، وهي على اختصارها ناسبت طبقة صغار الطلبة في المعاهد والمدارس العلمية والمساجد والمكاتب، وبكلمة عامة أماكنَ الطلب والتدريس، وتنافس الطلبة في حفظها والمشايخ في تدريسها والتأليف عليها قرونا عديدة ولا تزال كذلك.

وقد تعددت الخدمات على الأجرومية زيادة على ما ذكر، فمن الشروح القصيرة والمطولة إلى الحواشي إلى نظم متنها في رسائل علمية لا تتجاوز 300 بيتا، وممن نظم الأجرّومية قديما داود أبو سليمان الإباضي (967هـ/1560م)، فقد ذكرت كتبُ التراجم المذهبية له نظما للأجرومية[1]، وهو عمل رائد من المستبعد أن يكون قد اطلع عليه من جاء بعده من غير أهل مذهبه الإباضي للمذهبية الضيقة المتبادلة يومها. وبعد فترة من الزمن قام أحمد بن قاسم البوني (1139هـ/1726م) بعمل مماثل نظم فيه متن الأجرومية في تسعين بيتا."[2].

ونجد أيضا عند الفقيه عبد العزيز الثميني (1808م) ما يدل على أن له هو أيضا نظما للأجرومية[3]، يغلب أن يكون استجابة لنفس الداعي من تسهيل متن المقدمة، وتوفيرا لمادتها بين الطلاب خصوصا في المناطق النائية، حيث يحدث أن لا تتوفر الكتب والمقررات.

[1] - يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب (المطبعة العربية، الجزائر، ط:01، 2017م) / 94، وذكر بلقاسم ضيف أنه طبع بتونس 13331هـ

[2] - معجم أعلام الجزائر. ص: 50.

[3] - تاريخ الجزائر العام. ج 580/3.

نختم الحديث عن نظم الأجرومية بعمل محمد بن سليمان إدريسو (1298هـ/1881م)، فقد كتب هو أيضا نظما لمتن الآجرومية[1]. وهكذا تكفي هذه الإشارة إلى مكان الأجرومية في المعاهد العلمية، وبين الشيوخ، وما حازه نظم المتون من القبول في الأوساط العلمية في القرون المتأخرة.

وأما ما ألفَ استقلالا ولا ارتباط له بالأجرومية، فنجد من ذلك عمل الطاهر الجزائري (1920م)، الذي تنسب له " قصيدة في الألفاظ النحوية"[2]، ولا يوجد ما يبين هذا العنوان، ويخصص هذه الألفاظ.

05- الشروح والحواشي:

كان ميدان التأليف في النحو كما هو في غيره من سائر العلوم الشرعية، قد سبقت إليه تآليف كثير من غير الجزائريين في المشرق والمغرب، فلا غرابة أن يتم اعتماد كثير من تلك التآليف نظما ونثرا في معاهد التدريس، ولا غرابة أيضا أن تصير بعض تلك التآليف مقررات علمية مشهورة وربما تم اعتماد ما عليها من الشروح والحواشي أيضا.

ونذكر هنا بأن ألفية ابن مالك في النحو، وكتاب التسهيل في العربية له أيضا، ولامية الأفعال في التصريف لابن مالك المذكور، قد صارت جميعُها مقررات للحفظ والتدريس والتأليف، وكذا شاع من شروحها شروح ابن عَقيل والمكُودي... كما شاعت كتب ابن هشام الأنصاري على الألفية وقطر الندى وشذور الذهب، وأكثرها شيوعا بين الطلبة المغني في قواعد العربية.

إنّ النّحاة الجزائريين قد اطّلعوا على كل ذلك وغيره، وقبلوا اعتمادَ كثير منه كمقررات علمية ناجحة وتولوا تدريسها تحفيظا وشرحا للطلاب،

[1] - نهضة الجزائر الحديثة 285/1. معجم أعلام الجزائر. ص: 15.

[2] - مختار بوعناني، المصنفات اللغوية (دار هومة، الجزائر، ط:01، 2000م) ص: 104.

وتأليفا حول موضوع مادتها. ونحن نذكر شيئا من ذلك فربما كان شرحا على متونها أو حواشيَ على شروحها، وربما كان جهدا للنحاة الجزائريين في شرح شواهدها، وهو عمل يأتي على موضوعات النحو بالبيان والتقرير، وقد تم التأليف فيه قديما وحديثا.

ونقسم كالعادة عملنا إلى قسمين ما يتعلق بالتأليف على موضوعات قوالبها نثرية، وأخرى من النظم، ونذكر أنه مهما بلغت درجة الاستكثار من الأسماء والعناوين فليس المقصود غير الإشارة دون شرط الاستيفاء.

05. 01- أعمال النحاة الجزائريين على متون النحو النثرية:

اشتهر كتاب التسهيل لابن مالك في النحو والكافية لابن الحاجب في الصرف، وربما كان ذلك في حياة مؤلفَيْهما، وقد تداولتها العلماء، وقام على نصوصها الطلبة بالحفظ والاستظهار، والمشايخ بالتدريس والتأليف. وبانصرام القرن التاسع نجد أحمد بن محمد الزبير التنسي (801هـ/1401هـ) يقوم على كتاب التسهيل بالشرح، كما شرح الكافية[1]. ولا شك أن ذلك كان عملا زائدا على تدريس مادة الكتابين والقيام عليهما بالحفظ والتحفيظ والبيان.

كما نجد تقي الدين الشمُنّي (871هـ/1465هـ) من أهل قسنطينة - وقد رحل إلى مصر - يشرح مغني اللبيب لابن هشام، وإن كان عمل الشمني إنما هو تلخيص من حاشية البدر الدماميني[2] على كتاب المغني المذكور. ولأحمد بن يوسف التنلاني (1078هـ/1668هـ) أيضا " مختصر الدماميني على المغني."[3]. قد تولى إذا نحويان جزائريان عمل الدماميني بالاختصار، ولا

[1] - خير الدين الزركلي، الأعلام (دار العلم للملايين، لبنان، 2002م) ج 225/1. فهرست بلقاسم ضيف. / 324.

[2] - محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع.. 72/1.

[3] - الجهود النحوية. 26.

شك أن ذلك يعود أساسا إلى المكانة العلمية كتب المغني وحاشية الدماميني عليه. كما نجد للتنلاني المذكور كتابا بعنوان: غاية الأمل في إعراب الجمل، وقد قال من اطلع عليه: أنه شرح على لامية ابن المجراد المغربي.

05. 02 - الأعمال العلمية للنحاة الجزائريين على الأنظام النحوية:

سيلاحظ القارئ السعيد هنا أن مجرد ما التزمناه من الإشارة لا الاستيفاء يدل على كثرة التآليف حول هذا الشكل من القوالب السائدة التي كان يتم عرض المادة النحوية من خلالها بدل القوالب النثرية، ولا يخفى كذلك مناسبتها لسهولة الحفظ والمذاكرة.

مع بداية القرن التاسع قام محمد بن مرزوق الحفيد (842هـ/1438هـ) بالتأليف على الألفية المذكورة؛ إذ ينسب له كتاب "إيضاح المسالك في شرح ألفية ابن مالك." [1]. ولم يصل إلى أيدي الباحثين منه شيء.

وفي حدود منتصف القرن التاسع تداول مجموعة من نحاة وطن الجزائر على شرح متن الألفية المذكورة لشدة الحاجة إلى ذلك، بعد أن صارت مقررة في المعاهد والمدارس العلمية. منهم: أحمد بن محمد شهاب الدين المقري (بعد 847هـ/1443م) فمن آثاره "التحفة المكية" شرح ألفية ابن مالك في النّحو، فرغ منه سنة 847هـ." [2]. كما أن إبراهيم بن فائد القسنطيني (857هـ/ 1453م) " قد شرح ألفية ابن مالك المذكورة أيضا في مجلد واحد."[3].

[1] - الكتاني، فهرس الفهارس 1/ 394، معجم أعلام الجزائر 291، البستان 201، تاريخ الجزائر العام 210/2.

[2] - الأزهرية 122/4، معجم أعلام الجزائر 309.

[3] - الضوء اللامع 10/1، معجم أعلام الجزائر 160.

إنّ تعدد الشروح للعالم على المتن الواحد أمرٌ معهود لدى الأوساط العلمية، تمْليه الحاجة إلى بسط العبارة أو اختصارها، أو التوسط في ذلك. وقد يكون التأليف في زمن مبكر من حياة المؤلف فيحتاج إلى إعادة عرض عمله بما يراه مناسبا لما ذكرناه من أشكال العبارة. وممن شرح الألفية في هذا القرن الشمني السابق أحمد بن محمد تقي الدين (872هـ/1466م) إذ ينسب له: " منهج السالك إلى ألفية ابن مالك[1]. في حطم المفقود.

ممن ألف على الألفية مع الشهرة في الأدب والرحلة، أحمد أبو العباس المقري (1041هـ/1631م) فقد ذكرت كتب التراجم أنه له التحفة المكية في شرح الأرجوزة الألفية، وليس يوجد لها أثر في غير كتب التراجم مع قرب العهد بالمؤلف، وربما كان ذلك ببلاد المشرق. وهذا الفاضل الذي أشرنا إلى مؤلفه ينتمي إلى الفترة العثمانية التي أعقبت سقوط الدولة الزيانية، وهي فترة رغم ما حدث فيها من الفتور العلمي إلا أنها حافظت بنسب متفاوتة على رصيد القرون السابقة ومنها التاسع بالخصوص. يطالعنا عبد الكريم بن محمد الفكون (1073هـ/ 1663م) بمؤلفه الذي سماه شرح على البسط والتعريف في علم التصريف، للمكودي فرغ من تأليفه سنة 1048هـ[2].

وقد كان المكودي المذكور ألف شرحا على الألفية حاز القبول بالمغرب خصوصا، والظاهر أنه تمم الصرف الموجود فيها بكتاب البسط الذي شرحه الفكون القسنطيني، كما أن للفكُّون شرحا على شواهد الشريف على الأجرومية."[3]. وشرح الشواهد وبيان محلّ الشاهد من قبيل

[1] - المكتبة الوطنية بتونس رقم 2556.

[2] - معجم أعلام الجزائر (ص: 254)،

[3] - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية(دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط:01، 2006م) 390/2. دار الكتب التونسية، 83/1، رقم المخطوط: 406.

التطبيقات النحوية التي كثيرا ما يحتاج إليها قارئ المتون العلمية في جانبها النظري. وقد قال في شجرة النور: " والتزم عقب كلّ شاهد ذكر حديث مناسب للشاهد، كما شرح الفكون جمل المجراد." [1]. وما أشار إليه ابن مخلوف يعكس عناية الجزائريين بعمل المغاربة وما ألف في النحو من الكتب المتوسطة والصغيرة في النحو وقواعد العربية؛ لأنها سدت حاجة علمية إلى المتون والاختصار، والشروح المحلية، زيادة على ما فيها من منهجية التأليف الموافق لطرق التدريس.

إنّ نحاة توات وهمْ ممّن غلبت عليهم الموسوعية العلمية بما كان متيسرا يومها، قد ساهموا في النشاط النحوي تحصيلا وتدريسا وتأليفا، ولعل الإشارة إلى محمد بن أبّ المزمّري (1160هـ/1650م) في التاريخ المحدد هنا يؤرخ إلى فترة تلك المساهمة، والتي تمثل انطلاقة واضحة في هذا المضمار، وإن كان لا ينفي جهودا قبله ولكنها محدودة التسجيل في التأريخ الثقافي عموما.

وفيما يتعلق بالأجرومية دائما ألّف محمد الصالح بن سليمان الرحموني (1242هـ/1826م) "الدليل على الآجرومية"، وكذا "شرح على الأزهرية." [2]. والأزهرية مقدمة مركزة في النحو شغل بها طلبة العلم والمشايخ لكنها دون الأجرومية في الاهتمام.

ولا يزال التأليف على الأجرومية جاريا، ففي زمان أحمد الطيب الزواوي (1251هـ/1836م) كتب "مُفيد الطلبة."، وهو شرح الإجرومية في النحو"[3].

[1] - محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية (دار الكتب العلمية، لبنان، ط01، 2003م) ج 1/ 448.

[2] - رضا كحالة، معجم المؤلفين (دار إحياء الكتاب العربي، لبنان، 1980م) ج83/10،

[3] - شجرة النور الزكية. 382.

ونتدرج شيئا فشيئا مع الزمان مما ينتمي إلى العهد العثماني الذي شهد ارتخاءً دون أن يحصل في ذلك انقطاع، فقد شرح أحمد الطاهري التواتي عمل المزموري سابق الذكر في نظم الأجرومية وسمّى أحمد الطاهر عمله: " السلك المنظوم على نظم ابن أبَّ لمقدمة ابن آجروم[1]. كما أننا نجد لصالح بن موفق بن قويدر القسنطيني شرحا على الأجرومية[2].

وفي أواخر القرن التاسع عشر تطالعنا شخصية مهمة اشتغلت بالتعليم برامج ومناهج وأسهمت في تطوير وإصلاح التعليم، وهي شخصية عبد القادر المجاوي (1912م)، تذكر المراجع أن له مجموعة من الكتب النحوية غالبها جرى على الطريقة التقليدية من شرح المتون المعتمدة ومن ذلك: كتاب " الدرر النحوية شرح الشبراوية."[3]، وكتاب آخر بعنوان " شرح شواهد ابن هشام"[4]، وثالث هو " شرح اللامية المجرادية في المسائل النحوية"[5]، ورابع سماه " الدرر البهية على اللامية المجرادية في الجمل"[6]، وخامس بعنوان " شرح الجمل النحوية"[7]، وآخر " نزهة الطرف في المعاني

[1] - عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات من علماء توات (المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م) ص: 11.

[2] - المهدي بن شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر(مطبعة قسنطينة، 1965م): 328، فهرست بلقاسم ضيف. ص: 336.

[3] - ط: عام 1907م بالجزائر العاصمة، وبهامشه نزهة الطرف. معجم أعلام الجزائر 287، بلقاسم ضيف 337.

[4] - ط: بقسنطينة، معجم أعلام الجزائر 287، بلقاسم ضيف 337.

[5] - المطبعة البونية 1894م. معجم أعلام الجزائر 287، بلقاسم ضيف 337.

[6] - ط: ببونة. معجم أعلام الجزائر 287، بلقاسم ضيف 337، المصنفات اللغوية 75.

[7] - طبع طبعة حجرية بالجزائر العاصمة. معجم أعلام الجزائر 287، بلقاسم ضيف 337.

والصرف"[1]. والظاهر أنها كتب متقدمة من حياة المؤلف قبل أن يكتب رسالته إلى المعلمين لا مجال للحديث عنها الآن.

ونختم بذكر عبد السلام بن عبد الرحمان السلطاني الجزائري (1954م): له شرح شواهد الأشموني مطبوع في 03 أجزاء بالمطبعة الأهلية بتونس عام 1347م. وهو عمل كبير دل على مكانته العلمية، وقدرته النحوية؛ إذ كان شرح الأشموني على الألفية من أحسن الشروح لتأخره، ومنهجه الجيد في ذلك والمركز. ولا يفوتنا شرح الشيخ أحمد الشريف الأطرش لكتاب قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، ذكره في آخر كتابه الإمام ومدرسته بالمدينة. وقد كان الشيخ ممن درس بالزيتونة، وتخرج بها أعقاب الاستقلال، واشتغل بالتدريس في المدارس النظامية إضافة إلى حلقات المسجد؛ حيث كان يدرّس كتاب القطر وغيره.

06 - المختصرات العلمية.

إنّ المقصود ههنا أعم من أن يكون العمل مستقلا أو مبنيا على عمل سابق؛ ذلك أن ضرورات التأليف لأغراض تدريسية في الغالب جعل الحاجة ماسة إلى شكل من الاختصار والتبسيط لصالح فئات يغلبُ أن تكون في مراحل التعليم الأولى. وسواء كان هذا بواسطة النثر أو النظم، فإن النشاط العلمي قد استدعى ذلك، و قد أوجد فعلا بعض المقادير من المختصرات .

01.06: المختصرات النثرية:

ولنبدأ بما للمقّري من رسالة يظهر مضمونها من عنوانها، فقد ألف أحمد أبو العباس المقري عملا سماه: إتحاف السيادة بضوابط حروف

[1] - ط: عام 1907م بالجزائر العاصمة، وبهامشه نزهة الطرف. معجم أعلام الجزائر 287، بلقاسم ضيف 337.

الزيادة، وله عمل مطول إلا أنه نسبة إلى موضوعه، وما يؤلف فيه من المطولات هو عمل أقرب إلى الاختصار، سماه: إعراب القرآن، وقد اطلعت على مضمونه فإذا هو يتتبع بصفة أخص ما يعد إشكالات في إعراب الحروف والجمل والآيات القرآنية. وهو كذلك عمل أصيل سبق عمل التنلاني في اختصاره للكتاب المطول لابن السَّمين، ومع ذلك فإنَّ اختصار التنلاني كبير الحجم أيضا، لكنه يبقى كعنوانه مختصرٌ شاع ذكره خصوصا بأرض توات ، وتداوله الطلبة والعلماء في القرون المتأخرة رغم ندرة نسخه.

06. 02: المختصرات النظمية:

وفيما يلي نتعرض إلى بعض ذلك بالإشارة إلى من عمل مختصرا بالنظم لا بالنثر، إذ كان النظم سائدا في زمانه وقد لقي من الاستحسان في الأوساط العلمية سواء المشايخ أو الطلبة الشيء الكثير. أما أولا فللاختصار الحاصل فيه وهو ما يسمح بجمع كثير من القضايا والمسائل، والقواعد في الحكم القليل ولو طال نسبة إلى السائد في ذلك من النثر.

وأما ثانيا فلسهولة الحفظ لكلّ ما هو مقرر نظما. ولا يخفى أن العصور الأخيرة قد شهدت تراجعا كبيرا عن الذي كان سائدا من التوسع في الدرس والتأليف، وأصبح يكتفى بالمقادير الضرورية الكافية كالذي حدث في النحو من أيام ابن معطي الزواوي، واختصار ابن مرزوق لألفية ابن مالك...وهو ما نشير إليها هنا ابتداء. ذلك أن شيخ مشايخ القرن التاسع وحلقة الوصل بين الطبقات العلمية السابقة واللاحقة محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (842هـ/1438م) قد ألف فيما ألف " أرجوزة " اختصر بها ألفية ابن مالك."[1]. وهو أمر لم يخطر على بال من سبقه ولا

[1] - معجم أعلام الجزائر 291،

من لحقه. ذلك أنّ شروحها مما وردت في اهتمام العلماء بها، وكذا إصلاح بعض أبياتها أو الزيادة عليها قليلا. أما اختصارها فهو أمرٌ غير مسبوق بالنسبة إلى عمل ابن مرزوق، غير أن عمله يظلّ طي المجهول.

7- نشاط النحاة الجزائريين خارج الوطن:

مع توفر عدد من المدارس العلمية بوطن الجزائر أثناء القرن التاسع وما بعده إلا أن الرحلة العلمية لم تنقطع سواء من جهة العلماء للتدريس أو الطلبة للتحصيل، كان ذلك في ربوع الوطن كما مرّ شيء منه أعلاه أو خارجه. ونريد أن نشير هنا إلى أن من ذكرنا من المشايخ لم تزل رحلتهم إلى أكثر ما رحل إليه السابقون تعلق الأمر بالأندلس أو المغرب الأقصى وتونس أو تجاوز ذلك إلى مصر والحجاز والمشرق عموما بما في ذلك مركز الدولة العثمانية.

إنّ الظروف السياسية والاقتصادية وطول المسافة المترامية، وصعوبة الاستقرار الاجتماعي لم يمنع كلُّ ذلك من تجديد الرحلة إلى المشايخ والمدارس والمراكز العلمية، أداء للحق الواجب في نشر التعليم،وبث العلم في أهله، وخدمة للدين والعربية في نهاية المطاف. وكل ذلك كان بلا ريب شكلا من أشكال المساهمة في بناء الحضارة، أوعلى الأقل المساهمة في المحافظة على ما تبقى من أركان حضارة الإسلام.

وفي حدود هذا التاريخ كان تقي الدين الشمني ممن لازم القاهرة، كما لازم التدريس بها بعد أن انتقل إليها هو ووالده مع بداية القرن التاسع من قسنطينة كما هو مذكور في كتب التراجم[1].

وبالانتقال إلى فترات لاحقة أكثر تطاولا نجد شخصية درست بفاس وتولت التدريس بوطن الجزائر، وإليك نص عبارة سعد الله عنه " ومن أبرز

[1] - الضوء اللامع ، معجم أعلام الجزائر في المحل المذكور.

الأساتذة الواردين على الجزائر من المغرب، والذين تركوا بصمات قوية في الاهتمام بعلم النحو محمد التواتي."[1]. ولا يبعد أن يكون قد قام بشيء من التدريس وهو بفاس بعد أن تم مقصوده من التحصيل للنحو وغيره، وتلك عادة المدارس العلمية الاستفادة من النبغاء، قبل أن يغيروا مكان إقامتهم بها.

08 - تحصيل أسانيد الكتب النحوية.

لا نخلي هذا المقالَ من التطرق إلى الأسانيد العلمية التي سعى كثيرٌ ممن ترجمنا لأعمالهم العلمية إلى تحصيلها باعتبارها من الاهتمامات الثقافية السائدة، ومن التقاليد العريقة للمدارس الجزائرية أسوة بغيرها من مدارس المغرب والمشرق، ومن جهة ثالثة لما كان للأسانيد عن المشايخ من وظائف التثبت من سلامة نسخ المقررات الدراسية خصوصا وسائر كتب الفنون العلمية المتاحة من الزيادة أو النقص.

ونكتفي هنا بتسجيل إسنادين من باب التمثيل لا الحصر لمقررين علميين هما الأجرومية والألفية، وكتاب للمطالعة والتوسع وهو: أوضح المسالك لابن هشام الأنصاري يشرح فيه الألفية، وهو كتاب مشهور كسابقيه. فقد كانت أغلب أسانيد الجزائريين تتصل بابن مرزوق في القرن التاسع مرورا على ابن غازي (919هـ/1514م)، وسعيد المقري (حيا في 1011م/1603م)، أو تمرُّ على زكريا الأنصاري (926هـ/1520م) قرين السيوطي (911هـ/1506م) ومعاصره في القرن العاشر الهجري.

ذكر الرَّوداني (1094هـ) في كتاب صلف الخلف - وهو ممن جمع أسانيد الجزائريين وأخذها عنه جملة من بعده - سندَه الأجرومية، فقال: وأما "

[1] - تاريخ الجزائر الثقافي. ج 2/ 158.

الجرُّومية... فبه إلى ابن آجروم"[1]. وهو سند توفر لكثير من الطلبة والمشايخ الجزائريين، والمغاربة عموما.

ورغم كثرة الأسانيد المتصلة بابن مالك لشهرة الألفية وعموم كتبه ههنا بالجزائر والمغرب إلا أن ما نذكره هنا هو فقط ما للروداني، لاتصال سنده بكثير من الجزائريين كابن مرزوق الحفيد وغيره... فقد قال يتحدث عن نفسه أما: " ألفية الإمام جمال الدين بن مالك به... إلى محمد بن مالك."[2]. وواضح من هذا السند ما للجزائريين فيه من مرتبة عالية.

ونختم الكلام عن هذا العنصر بما للروداني المذكور من سند يتصل بسعيد المقري عن ابن مرزوق الحفيد لشرح ألفية ابن معطي، فقد قال يتحدث عن ذلك: " وبالسند ... إلى ابن معطي"[3].

خاتمة:

- أن التأريخ الثقافي وإن كان لا يسمح بتسجيل نشاط النحاة الجزائريين في القرون الأولى إلا أن ذلك لا ينفي وجود ذلك النشاط أسوة بالمشرق والمغرب بما يشمل الأندلس، لتوفر نفس الدواعي والظروف والحاجات الدينية.

- يدل التأريخ الثقافي للمغرب الأوسط أن القرن السابع وما بعده من القرون خصوصا التاسع قد شهدت نشاطا واسعا ومكثفا في ميدان الدرس النحوي، بما يشمل الموسوعات والمقررات الدراسية في المساجد والمعاهد والزوايا والجامعات...

[1] - سليمان الروداني، صلة الخلف بموصول السلف (دار الغرب الإسلامي . بيروت . ط:01، 1994م)/ 204.

[2] - صلة الخلف بموصول السلف. / 120.

[3] - صلة الخلف بموصول السلف. / 188.

- أن الدرس النحوي قد شمل ما يتعلق بنشاط التحصيل والتدريس والتأليف العلمي.

- أن نتاج الموضوعات النحوية كثير ومتنوع له جذوره وامتداداته من قبل الجزولي وابن آجرُّوم وابن معطي الزواوي إلى المقررات والرسائل الجامعية.

- أن منتج النشاط العليم للنحاة الجزائريين كثير منه مفقود أو في حكم المفقود إذ لا يزال حبيس المكتبات الخاصة مخطوطا.

- أن الاشتغال النحوي يجب أن يتوسع مستقبلا إلى المواقع الإلكترونية بجميع أشكال التبسيط المنهجي، والتوسع الأكاديمي.

**<u>المصادر والمراجع:</u>

01 - نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر (مؤسسة نويهض، لبنان، ط01، 1982م).

02- السخاوي، شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (منشورات دار مكتبة الحياة – لبنان، 1985م)

03- الحفناوي، أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف (مؤسسة الرسالة، لبنان، ط01، 1985م)

04- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988م)

05 - عماري، عبد الله، الجهود النحوية لعلماء منطقة توات (رسالة دكتوراه جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر، 2015م)

06 - ابن خلدون، عبد الرحمان المقدمة (دار الشعب. القاهرة. 1969م)

07 - ابن مريم، محمد، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان (ديوان المطبوعات الجزائري، ط:1، 1985م)

08 - محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية (دار الكتب العلمية، لبنان، ط01، 2003م) .

09 - التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الدبياج (دار الفكر، سوريا، ط:01، 1979م)

10 - الكتاني، عبد الحي، فهرس الفهارس والأثبات (دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط:01، 1986م)

11 - ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش (المؤسسة الوطنية للكتاب _ الجزائر_ ط:01 . 1982م)

12 - رضا كحالة، معجم المؤلفين (دار إحياء الكتاب العربي، لبنان، 1980م)

13 - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 1994م)
14 - سركيس إليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة (مطبعة سركيس، مصر، 1925م)
15 - بوعزيز، يحي، أعلام الفكر والثقافة (دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط:02، 1999م)
16 - الحاج سعيد، الحاج بن بكير، تاريخ بني مزاب (المطبعة العربية، الجزائر، ط:01، 2017م).
17 - بوعناني، مختار، المصنفات اللغوية (دار هُومة، الجزائر، ط:01، 2000م)
18 - الزركلي، خير الدين، الأعلام (دار العلم للملايين، لبنان، 2002م)
19 - بلقاسم ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري (نشر تالة، العاصمة، ط:01، 2011م)
20 - العياشي، أبو سالم، الرحلة العياشية (دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط:01، 2006م)
21 - سيدي عمر، عبد العزيز، قطف الزهرات من علماء توات (المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م).
22 - المهدي، بن شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر(مطبعة قسنطينة، 1965م)
23 - الروداني، سليمان، صلة الخلف بموصول السلف (دار الغرب الإسلامي . بيروت . ط:01، 1994م.

عود الضمير: هاء الضمير الغائب وأثرها في توجيه معاني القرآن عند الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره.
-سورة ءال عمران، والنساء، والمائدة. أنموذجا- تابع

الدكتور: جمال بوكو
أستاذ مساعد قسم -ب- جامعة الجزائر1. كلية العلوم الإسلامية
d.boukou@univ-alger.dz djamelmaxi@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/12/15 -تاريخ القبول: 2021/01/04- تاريخ النشر: 2021/12/26

ملخص:

لقد اعتنى العلماء-رحمهم الله- قديما و حديثا بالدراسات القرآنية، سواء فيما يتعلق بالجانب البلاغي أو النحوي وغيرها، وإن مسألة عود الضمير في القرآن الكريم على وجه العموم و"هاء" الضمير الغائب على وجه الخصوص، من بين أهم المسائل التي لاقت عناية كبيرة لدى العلماء والباحثين، إذ لا يفتؤن في بيان عائد الضمير لِما له من أهمية في تحديد المعاني المختلفة إن كان للضمير يحتمل أكثر من عائدٍ، ولكن تبقى هذه الدراسات في تطور مستمر، كما أنَّ بعضها تحتاج إلى لمّ شملها، فجاءت هذه الدراسة في جمع شتات هذا الموضوع، مركزا على تفسير "جامع البيان في تأويل القرآن" للإمام ابن جرير الطبري في توجيه معاني عائد الضمير، مع ذكر أقوال أهل العلم من المفسرين، كابن عطية، وأبي حيان، وغيرهما، مع مناقشة الأقوال دون توسعٍ، مع ذكر رأي الباحث في كل مسألة معروضة في هذا البحث، وذلك من خلال نماذج مختارة من سورة ءال عمران، والنساء، والمائدة.

مفاتيح البحث: هاء الضمير الغائب و أثرها / توجيه معاني القرآن / ابن جرير الطبري في تفسيره/سورة ءال عمران، النساء، المائدة أنموذجا.

المقدمة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى.

أما بعد: فهذا بحثٌ ثانٍ[1] من المباحث المتعلقة بـ"هاء الضمير الغائب وأثرها في توجيه معاني القرآن عند الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره. -سورة ءال عمران، والنساء، والمائدة. أنموذجا- تابع، ولم أجد (والله أعلم) من تطرق بتأليفٍ مستقل حول هذه الدراسة، لذا كانت دراستنا جمع شتات هذا الموضوع، فاقتصرنا على ذكر نماذج مختارة تطبيقية.

أولاً: نماذج تطبيقية لـ هاء الضمير الغائب لسورتي ءال عمران والنساء:

1/ قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [ءال عمران: 35.36].

موضع الشاهد: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾

رجح الإمام الطبري عود ضمير **"الهاء"** في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ إلى معنى النَّسمة أو الحَبْلة أو النَّفس «وذلك لأن النَّسمة والحَبلة تصدُق على

[1]- البحث الأول صدر في نفس هذه المجلة [المجمع الجزائري للغة العربية] العدد29، السنة السادسة عشرة، شوال 1440هـ- الموافق جوان 2019م.بعنوان: عود الضمير: هاء الضمير الغائب وأثرها في توجيه معاني القرآن عند الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره. -أواخِر سورة البقرة نموذجا [من الآية 170 إلى الآية 280]-

الذَّكر وعلى الأنثى، فلمَّا حَصَل فيها الاشتراكُ جاءت الحالُ مبيّنة لها»[1]، واستبعد الإمام الطبري رحمه الله عود ضمير **"الهاء"** إلى ﴿مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ لأنها كانت ترجو أن يكون ذَكرًا فقال رحمه الله: « ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ فلما وضعت حَنَّة[2] النذيرةَ، ولذلك أنَّث، ولو كانت **"الهاء"** عائدة على **"ما"** التي في قوله: ﴿إني نذرت لك ما في بطني محررًا﴾، لكان الكلام: فلما وضعته قالتْ رب إني وضعته أنثى»[3].

يرى أبوحيان الأندلسي في تفسيره أن الضمير يعود إلى ﴿ما في بطني محررًا﴾، حملا على المعنى دون اللفظ لأنها أنثى في علم الله فقال رحمه الله: « ﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى﴾ أنَّث الضمير في ﴿وضعتها﴾ حملا على المعنى في: ﴿ما﴾، لأن ما في بطنها كان أنثى في علم الله تعالى»[4].

يظهر لي والله أعلم أن ضمير الهاء في قوله تعالى "وضعتها" يعود على النسمة والنفس كما رجحه الإمام الطبري، ويجوز عوده على ﴿مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ حملاً على المعنى دون اللفظ.

2/ قال الله تعالى: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ، فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ [ءال عمران:59. 60. 61].

---

[1] -الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، ج133/3، دار القلم، دمشق.

[2] - والدة مريم بنت عمران.

[3] جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج333/6، مكتبة ابن تيمية القاهرة، الطبعة الثانية.

[4] -البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج116/3، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

موضع الشاهد: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ[1] فِيهِ﴾

يرى الإمام الطبري رحمه الله أن ضمير **"الهاء"** ﴿فِيهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ**﴾ يعود إلى عيسى عليه السلام، ويجوز عوده إلى ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فقال رحمه الله: «والهاء في قوله ﴿فِيهِ﴾ عائدة على ذكر عيسى، وجائز أن تكون عائدة على ﴿الحق﴾ الذي قال تعالى ذكره:﴿الحق من ربك﴾»[2]. فيكون معنى الكلام فمن حاجك في عيسى عليه السلام من بعد ما جاءك من العلم أن عيسى عليه السلام عبدُ الله ورسولُه.

أما أبو حيان رحمه الله فقد ذكر القولين ورجح عود الضمير إلى عيسى عليه السلام لأنه هو المحدَّث عنه في أول القصة وما بعده أتى من تمامه، فقال رحمه الله: «والضمير في: ﴿فِيهِ﴾، عائد على عيسى، لأن المنازعة كانت فيه، ولأن تصدير الآية السابقة في قوله: إن مثل عيسى وما بعده جاء من تمام أمره، وقيل: يعود على الحق، وظاهر من العموم في كل من يحاج في أمر عيسى»[3].

ورجح العكبري[4] عود ضمير **"الهاء"** إلى عيسى عليه السلام.

من خلال ما سبق يمكن أن نرجح عود الضمير ﴿فِيهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ**﴾ إلى عيسى عليه السلام، إذ هو المحدَّث عنه في سياق الآيات، والله أعلم.

3/ قال الله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [ءال مران:76]

---

[1] -حاجك بمعنى: نازعك وجادلك. ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج187/3.

[2]- تفسير الطبري، ج473/6، 474.

[3]- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج187/3.

[4] -التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج267/1.

موضع الشاهد: ﴿ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾

اختلف العلماء في تعيين عائد الضمير مِن قوله تعالى: ﴿ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ يرى الإمام الطبري رحمه الله أن ضمير **"الهاء"** تعود إلى الله تعالى فقال رحمه الله: « و**"الهاء"** في قوله: ﴿ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾، عائدة على اسم **"الله"** في قوله: ﴿ويقولون على الله الكذب﴾ يقول: بلى من أوفى بعهد الله الذي عاهده في كتابه، فآمن بمحمد ﷺ وصَدّق به وبما جاء به من الله، من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها، وغير ذلك من أمر الله ونهيه»[1].

ذكر ابن الجوزي قولين من أهل العلم في تعيين عائد الضمير فقال: «**"هاء"** ﴿بِعَهْدِهِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى الله تعالى. **والثاني**: إلى الموفي»[2].

وجنح أبوحيان إلى القول بأن الضمير يعود إلى ﴿مَن﴾ أي: الموفي فقال رحمه الله «والظاهر في: ﴿بعهده﴾، أن الضمير عائد على: ﴿مَن﴾، وقيل: يعود على الله تعالى»[3].

يظهر لي والله أعلم أن ضمير **"الهاء"** من قوله تعالى: ﴿ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ تعود إلى أبعد مذكور وهو لفظ الجلالة "الله" من قوله تعالى: ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ لأنّ السياق يحتمله.

4/ قال الله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:02].

موضع الشاهد: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾

[1] -تفسير الطبري، ج526/6.

[2] - زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين، المعروف بابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج296/1

[3] -البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج225/3.

يرى الإمام الطبري أن ضمير **"الهاء"** في ﴿**إِنَّهُ**﴾ تعود إلى **الأكل المفهوم** من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾ لأنه أقرب مذكور فقال رحمه الله: «﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ إنّ أكلكم أموال أيتامِكم، حوبٌ كبير، و**"الهاء"** في قوله: ﴿**إِنَّهُ**﴾ دالة على اسم الفعل، أعني **"الأكل"**»[1].

ذكر السمين الحلبي ثلاثة أقوال في احتمال عود الضمير ﴿**إِنَّهُ**﴾ ورجَّح ما ذهب إليه الإمام الطبري فقال رحمه الله: «﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا﴾ **في الهاءِ** ثلاثة أوجه، **أحدها**: أنها تعودُ على الأكلِ المفهوم من «لا تأكلوا». **والثاني**: على التبدُّل المفهومِ من «لا تَتَبدَّلوا» . **والثالث**: عليهما، ذهاباً به مذهبَ اسمِ الإشارة نحو: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذلك﴾ [البقرة: 68]... والأوّلُ أَوْلى، لأنه أقربُ مذكور»[2].

وذهب إلى هذا العكبري فقال رحمه الله: «﴿**إِنَّهُ**﴾: الهاءُ ضَمِيرُ المصدَرِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ تَأْكُلُوا؛ أَي: إِنَّ الأَكلَ وَالأَخذَ»[3].

يظهر لي والله أعلم أنّ الضمير ﴿**إِنَّهُ**﴾ من قوله تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا﴾ تعود إلى الأكل المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾ لأنه أقرب مذكورٍ.

5/ قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:19].

موضع الشاهد: ﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

يرى الإمام الطبري أن ضمير **"الهاء"** في ﴿**فِيهِ**﴾ تعود إلى الشيء المكروه المفهوم من قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَكْرَهُوا﴾ ذكر ذلك بعدما عقب على قول

[1] -تفسير الطبري، ج529/7.

[2] -الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ج577/3.

[3] -التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، ج327/1.

"مجاهد" الذي يرى عود الضمير إلى **"الكره"** فقال رحمه الله: «و**"الهاء"** في قوله: ﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ على قول "مجاهد" الذي ذكرناه، كناية عن مصدر ﴿تَكْرَهُوا﴾،كأنّ معنى الكلام عنده: فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله في كُرْهه خيرًا كثيرًا، ولو كان تأويل الكلام: فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله في ذلك الشيء الذي تكرهونه خيرًا كثيرًا، كان جائزًا صحيحًا»[1].

أما الإمام الرازي[2] فقد ذكر قولين لأهل العلم في احتمال عود الضمير وهما: احتمال عوده إلى الكره، أو إلى المفارقة أي بمعنى: «إن كرهتموهن ورغبتم في مفارقتهن، فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا، ذلك بأن تتخلص تلك المرأة من هذا الزوج وتجد زوجا خيرا منه»[3].
واستبعد أبوحيان هذا القول الأخير فقال رحمه الله: «وهذا القول بعيد من سياق الآية»[4].

من جهة أخرى نجد أنّ أباحيان وافق قول الإمام الطبري وذكر قولا ثالثا في احتمال عود الضمير وهو عوده إلى الصبر فقال رحمه الله: «والضمير في ﴿**فيه**﴾ عائد على شيء **أي**: ويجعل الله في ذلك الشيء المكروه. **وقيل**: عائد على الكره وهو المصدر المفهوم من الفعل. **وقيل**: عائد على الصبر»[5].
بعد ذكر أقوال أهل العلم في عود الضمير ﴿**فيه**﴾من قوله تعالى:﴿**وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ يظهر لنا والله أعلم أن الضمير في ﴿**فيه**﴾ يعود إلى

[1] -تفسير الطبري، ج123/8.
[2] تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ، ج13/10.
[3] - تفسير الرازي، ج13/10.
[4] - البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج571/3.
[5] -البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج570/3.

الشيء المكروه المفهوم من قوله تعالى: ﴿أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ لأنه أقرب مذكور وسياق الآية يتضمنه.

ثانيا: نماذج تطبيقية لـ هاء الضمير الغائب لسورة المائدة:

1/ قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[المائدة: 157].

موضع الشاهد: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾

رجح الإمام الطبري عود ضمير **"الهاء"** في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ إلى ﴿الظَّنِّ﴾ لأنه أقرب مذكور فيكون معنى الكلام: ما قتلوا ظنهم يقينا فقال رحمه الله: « ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ يقول: وما قتلوا -هذا الذي اتبعوه في المقتول الذي قتلوه وهم يحسبونه عيسى- يقينًا أنه عيسى ولا أنه غيره، ولكنهم كانوا منه على ظنّ وشبهةٍ، وهذا كقول الرجل للرجل: "ما قتلت هذا الأمر علمًا، وما قتلته يقينًا"، إذا تكلَّم فيه بالظن على غير يقين علم فـ**"الهاء"** في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ عائدة على ﴿الظَّنِّ﴾»[1].

يرى أبوحيان عود الضمير في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ إلى عيسى عليه السلام لتناسق الضمائر بعد ذكر احتمالات عائد الضمير فقال رحمه الله: «الضمير في **قتلوه** عائد على الظن... فالمعنى: وما صح ظنهم عندهم وما تحققوه يقينا، ولا قطعوا الظن باليقين... والظاهر قول الجمهور: أن الضمير يعود على عيسى بجعل الضمائر كلها كشيء واحد، فلا تختلف. والمعنى صحيح بليغ»[2].

[1] -تفسير الطبري، ج377/9.

[2] -البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج127/4، 128.

رجح السمين الحلبي[1] عود الضمير إلى عيسى عليه السلام أما ابن الجوزي ذكر ثلاثة أقوال في تحديد عائد الضمير ولم يرجح فقال رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ في «الهاء» ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنها ترجع إلى الظن فيكون المعنى: وما قتلوا ظنّهم يقيناً، هذا قول ابن عباس. **والثاني**: أنها ترجع إلى العلم، أي: ما قتلوا العلم به يقيناً، تقول: قتلته يقيناً، وقتلته علماً للرأي والحديث، هذا قول الفراء، وابن قتيبة. قال ابن قتيبة: وأصل هذا: أن القتل للشيء يكون عن قهر واستعلاء وغلبة، يقول: فلم يكن علمهم بقتل المسيح علماً أحيط به، إنما كان ظناً. **والثالث**: أنها ترجع إلى عيسى، فيكون المعنى: وما قتلوا عيسى حقاً، هذا قول الحسن، وقال ابن الأنباري: اليقين مؤخر في المعنى، فالتقدير: وما قتلوه، بل رفعه الله إليه يقينا»[2].

يظهر لي والله أعلم أن ضمير **"الهاء"** في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يقينا﴾ تعود إلى عيسى عليه السلام لقاعدة عود الضمير إلى شيء واحد[إن كان الضمير يحتمله] أولى من إعادته إلى متعدد، وحتى لا تتنافر المعاني.

2/ قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:159] .

موضع الشاهد: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾

ذكر الإمام الطبري قولين من أهل العلم في تحديد عائد الضمير ﴿بِهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ وضعف قول مَن قال إن ضمير **"الهاء"** تعود إلى محمد ﷺ، لأنه لم يجر ذكره في السياق، فرجح عود الضمير إلى عيسى عليه السلام لأنه هو المحدَّث عنه في السياق فقال رحمه الله: « فيجوز

[1] -الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ج147/4.

[2] -زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ج495/1.

صرف **"الهاء"** التي في قوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ إلى أنها من ذكره. وإنما قوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ في سياق ذكر عيسى وأمّه واليهود. فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجَّة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حُجَّة، فأما الدَّعاوى فلا تتعذر على أحد... تأويل الآية إذْ كان الأمر على ما وصفنا : وما من أهل الكتاب إلا مَن ليؤمنن بعيسى، قبل موت عيسى، وحذف "مَن" بعد "إلا"، لدلالة الكلام عليه، فاستغنى بدلالته عن إظهاره، كسائر ما قد تقدم من أمثاله التي قد أتينا على البيان عنها»[1].

يقول ابن الجوزي رحمه الله: «وفي **"هاء"** ﴿بِهِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها راجعة إلى عيسى، قاله ابن عباس: والجمهور. **والثاني**: أنها راجعة إلى محمّد ﷺ، قاله عكرمة»[2].

فيكون المعنى من أعاد الضمير ﴿بِهِ﴾ إلى محمد ﷺ بأنه لا «يخرج يهودي ولا نصراني من الدّنيا حتى يؤمن بمحمد ﷺ، ولو غرق أو سقط عليه جدار فإنه يؤمن في ذلك الوقت»[3]. رجّح السمين الحلبي عود الضمير إلى عيسى عليه السلام فقال رحمه الله: «والضمير في ﴿بِهِ﴾ لعيسى، وقيل: لله تعالى، وقيل: لمحمد عليه السلام»[4].

بعد ذكر أقوال أهل العلم يظهر لي والله أعلم أن ضمير **"الهاء"** في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ تعود إلى عيسى عليه السلام، لأنه هو المحدَّث عنه في السياق، فلا ينبغي العدول عنه إلى غيره، قال محمد

[1]- تفسير الطبري، ج389/9.

[2]- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ج496/1.

[3]- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج130/4.

[4]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ج150/4.

الأمين الشنقيطي: «ومما لا شك فيه أنّ ما لا يحتاج إلى تقدير أرجح و أولى مما يحتاج إلى تقديرٍ»[1].

3/ قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة:45].

موضع الشاهد: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾

اختلف العلماء في عائد ضمير **"الهاء"** ﴿**له**﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾

رجح الإمام الطبري رحمه الله عود الضمير ﴿**له**﴾ إلى ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ﴾ وهو المجرُوح فإنه إذا تصدَّق بالقصاص كفَّر الله ذنبه فقال رحمه الله: «وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قولُ من قال: عني به: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ المجروحَ فلأن تكون **"الهاء"** في قوله: ﴿**له**﴾ عائدةً على ﴿مَنْ﴾، أولى من أن تكون مِنْ ذِكْر من لم يجر له ذكر إلا بالمعنى دون التصريح وأحرَى، إذ الصدقة هي المكفِّرة ذنبَ صاحبها دون المتصدَّق عليه في سائر الصدقات غير هذه، فالواجب أن يكون سبيلُ هذه سبيلَ غيرها من الصدَّقات»[2].

ذكر ابن الجوزي قولين من أهل العلم وهو احتمال عود الضمير إلى الجاني (الجارح، والقاتل)، أو المجني (المجروح) ولم يرجح فقال رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ يشير إلى القصاص، ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ في

[1] -أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ج7/ 130، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1995م.

[2] - تفسير الطبري، ج369/10.

"هاء" ﴿**له**﴾ قولان: **أحدهما**: أنها إشارة إلى المجروح، فإذا تصدّق بالقصاص كفّر من ذنوبه، وهو قول ابن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والحسن، والشعبي. **والثاني**: إشارة إلى الجارح إذا عفا عنه المجروح، كفر عنه ما جنى، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وهو محمول على أن الجاني تاب من جنايته، لأنه إذا كان مُصرّاً فعقوبة الإصرار باقية»[1].

بمعنى أن الضمير ﴿**له**﴾ قد يعود إلى الجاني بحيث لم يتقدم ذكره ولكن يفهم من السياق لدلالة المعنى عليه «فذلك العفو والتصدق كفارة للجاني تسقط عنه ما لزمه من القصاص. وكما أن القصاص كفارة، كذلك العفو كفارة، وأجر العافي على الله تعالى»[2].

أما السمين الحلبي فرجَّح عود الضمير إلى المجروح فقال رحمه: « .... الظاهر أنه يعود على المتصدِّق والمرادُ به مَنْ يستحِقُّ القِصاصَ مِنْ مصابٍ أو وليّ، أي: فالتصدقُ كفارةٌ لذلك المتصدِّق بحقه»[3]، ويُدعَّم هذا القول بحديث عبادة بن الصامت قال: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: «مَنْ صَدَّقَ مِنْ جَسَدِهِ بِشَيْءٍ كَفَّرَ اللهُ عَنْهُ بِقَدْرِ ذَلِكَ مِنْ ذُنُوبِهِ»[4]، وذهب إلى هذا القول العكبري[5].

يظهر لنا و الله أعلم أن ضمير **"هاء"** في ﴿**له**﴾ من قوله تعالى ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ تعود إلى المجروح والمجني عليه، بأن عفَى عن الجاني فلا يُطالب بشيئ من القصاص، لأنّ عود الضمير إلى أقرب مذكور أولى من إعادته إلى غيره.

---

[1]- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ج1/553- 554.

[2]- لبحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج4/276.

[3]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ج4/280.

[4]- سنن الكبرى للنسائي، ج10/83.

[5]- التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، ج1/439.

4/ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[المائدة: 64].

موضع الشاهد: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾

اختلف العلماء في تعيين عود ضمير ﴿**بينهم**﴾ من قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ فمنهم من أعاد الضمير إلى اليهود والنصارى، ومنهم من أعاده إلى اليهود فقط دون غيرهم.

أما الإمام الطبري فقد رجّح عود ضمير ﴿**بينهم**﴾ إلى اليهود والنصارى معا، فيُلاحظ أن الإمام الطبري أعاد الضمير إلى الأبعد دون الأقرب لوجود قرينة السياق تدل على ذلك فقال رحمه الله: « فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾، جعلت **"الهاء والميم"** في قوله: ﴿**بينهم**﴾ كناية عن اليهود والنصارى، ولم يجر لليهود والنصارى ذكر؟ قيل: قد جرى لهم ذكر، وذلك قوله: ﴿لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، [سورة المائدة: 51] ، جرى الخبر في بعض الآي عن الفريقين، وفي بعضٍ عن أحدهما، إلى أن انتهى إلى قوله: ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء﴾، ثم قصد بقوله: ﴿ألقينا بينهم﴾، الخبرَ عن الفريقين»[1].

قال ابن الجوزي رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ﴾ فيمن عني بهذا قولان: **أحدهما**: اليهود والنصارى، قاله ابن

[1]- تفسير الطبري، ج458/10.

عباس: ومجاهد، ومقاتل. فإن قيل: فأين ذكر النصارى؟ فالجواب: أنه قد تقدم في قوله تعالى: ﴿لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ﴾. **والثاني**: أنهم اليهود، قاله قتادة»[1].

ذكر أبوحيان أن الضمير ﴿**بينهم**﴾ يحتمل عوده إلى اليهود والنصارى معا لأنهما سبق ذكرهما وكونهما يدخلان في عموم أهل الكتاب فيشمل الفريقين فقال رحمه الله: «﴿وَأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ إلى يوم القيامة﴾ قيل: الضمير في ﴿**بينهم**﴾ عائد على اليهود والنصارى، لأنه جرى ذكرهم في قوله: ﴿لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ﴾ ولشمول قوله: ﴿يا أهل الكتاب﴾ للفريقين»[2].

يتبين لنا والله أعلم أن الضمير ﴿**بينهم**﴾ من قوله تعالى: «﴿وَأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ إلى يوم القيامة﴾ يعود إلى اليهود والنصارى حتى و إن كان لم يجر للنصارى ذكر في السياق ولكن يحتمله المقام، فإذا أُطلق لفظ "أهل الكتاب" يراد به اليهود والنصارى.

5/ قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:89].

موضع الشاهد: ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾

[1]- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ج566/1.

[2]- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج316/4- 317.

اختلف العلماء في تحديد عود الضمير **"الهاء"** من قوله تعالى: ﴿**فَكَفَّارَتُهُ**﴾ فمنهم من أعاده إلى **"الحنث"**[1] الذي يُفهم من السياق و إن كان لم يجر له ذكر، ومنهم من أعاده إلى **"العقد"**[2] لتقدم الفعل الدال عليه وهو **"بما عقدتم"**. يقول ابن عطية: «والضمير على الصناعة النحوية عائد على ﴿**ما**﴾، ويحتمل ﴿**ما**﴾ في هذا الموضع أن تكون بمعنى: **الذي**، وتحتمل أن تكون مصدرية وهو عائد مع المعنى الذي ذكرناه على إثم الحنث، ولم يجر له ذكر صحيح لكن المعنى يقتضيه»[3].

رجّح الإمام الطبري عود الضمير إلى ﴿**ما**﴾ التي في قوله: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ فيكون المعنى: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارة ما عقَّدتم الأَيمان، قال رحمه الله: «والذي هو أولى عندي بالصواب في ذلك، أن تكون **"الهاء"** في قوله: ﴿**فَكَفَّارَتُهُ**﴾ عائدة على ﴿**ما**﴾ التي في قوله: ﴿بما عقدتم الأيمان﴾، لما قدَّمنا فيما مضى قبل أنّ من لزمته في يمينه كفّارة وأُوخذ بها، غيرُ جائز أن يقال لمن قد أوخذ: ﴿لا يؤاخذه الله باللغو﴾، وفي قوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾، دليلٌ واضح أنه لا يكون مؤاخذًا بوجه من الوجوه، مَنْ أخبرنا تعالى ذكره أنه غيرُ مؤاخذه»[4].

رجَّح العكبري[5] عود ضمير **"الهاء"** في قوله تعالى ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ إلى **"العَقْد"** الدَّال عليه الفعل ﴿عَقَّدْتُمُ﴾.

---

[1]- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج352/4.

[2]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ج405/4.

[3]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج229/2.

[4]- تفسير الطبري، ج458/10.

[5]- التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، ج458/1.

قال أبوحيان: «الضمير في ﴿**فَكَفَّارَتُهُ**﴾ عائد على ﴿**ما**﴾ إن كانت موصولة اسمية، وهو على حذف مضاف كما تقدم، وإن كانت مصدرية عاد الضمير على ما يُفهم مِن المعنى وهو إثم الحنث وإن لم يجر له ذكر صريح لكن يقتضيه المعنى»[1].

يظهر لنا والله أعلم أن ضمير **"الهاء"** من قوله تعالى: ﴿**فَكَفَّارَتُهُ**﴾ تعود إلى **"العقد"** لدلالة الفعل عليه من قوله تعالى: ﴿بما عَقَّدْتُمُ﴾، فيكون المعنى: فكفارة ما عقَّدتم الأَيمان ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [المائدة:89].

الخاتمة:

من خلال ما سبق ذكره تظهر لنا بعض النتائج منها:

1-أهمية الاعتناء بعود الضمير في تحديد المعنى.

2-نجد أنّ الإمام الطبري يستعمل أحيانا مصطلح "الكناية" بدل مصطلح "الضمير" في تفسيره وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أنه يجمع بين مصطلحات الكوفيين و البصريين معا.

3- إن للضمير "الهاء" الغائبة أثر في تحديد المعنى، وهذا له أثر في توجيه المعاني القرآنية عند المفسرين.

[1]- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج352/4.

4- إن اختلاف أهل اللغة في تحديد معاني الحروف، له أثر واضح عند المفسرين في تعيين عائد الضمير.

5- يمكن للضمير أن يعود إلى مقدَّرٍ محذوف إن كان السياق يقتضيه.

**<u>المصادر والمراجع:</u>

*القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

1. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1995م

2. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

3. التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي.

4. جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية القاهرة، الطبعة الثانية.

5. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

6. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين، المعروف بابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.
7. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.
8. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، درا إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ.

الخطاب اللسانيّ في المقرّرات الجامعيّة

-ضرورة التحيّين الزمانيّ والتكيّيف الثقافيّ-

Linguistic discourse in university courses

The necessity of temporal revival and cultural adaptation -

إسمهان بدّي*	عبد الناصر بوعلي
[1] طالبة دكتوراه، جامعة تلمسان (الجزائر). ismahane.beddi2016@gmail.com 0770.98.05.98	[2] أستاذ التعليم العالي، جامعة تلمسان (الجزائر). bouali13@live.fr 0778.30.26.50
Ismahane Beddi : doctoral student ,Algeria	Abdenaceur bouali: PHD ,professor, Algeria

تاريخ الإرسال: 2020/12/18--تاريخ القبول: 2021/02/02- تاريخ النشر: 2021/12/26

ملخص:

تتأسّس هذه الورقة البحثيّة على فرضيّة مؤدّاها أنّ الخطاب اللسانيّ في الجامعة الجزائريّة صار مطلبًا حضاريًّا مؤسَّسًا لا مندوحة عنه؛ لأنّه يوفّر الفرش النظريّ الذي يتيح معرفةً واعيةً بمتطلّبات البحث اللغويّ العربيّ المعاصر. من ثمّة وجب إيلاء الأهميّة القصوى لمضامين الخطاب اللسانيّ. ولا سيّما لقضيّة تحيّينه؛ ليتناسب من جهة مع الخطاب اللسانيّ العامّ بجوانبه الاجتماعيّة والجغرافيّة والإثنيّة، وبمحتوى الخطاب نفسه، وتطوّر النظريّات التي تؤسّس له؛ إذ إنّ وجود فجوة بين النظريّة اللسانيّة في مظانّها الأصليّة، والغفلة عن منطلقاتها السوسيو ثقافيّة يجعل اتّخاذها منطلقًا لخطابٍ لسانيّ تربويّ مختلفٍ في مناخه وتوجّهاته يؤذن بفشل ذريع.

الكلمات المفتاحيّة: الخطاب اللسانيّ الأكاديميّ؛ الجامعة الجزائريّة؛ التحيّين؛ التكيّيف الاجتماعيّ ؛ الثقافة.

*المؤلف الأول.

Abstract:

This paper is based on the hypothesis that the linguistic discourse at the Algeria University has become an indispensable institutional requirement; because it shed light on the theoretical frameworks that provide a conscious knowledge of the requirements of contemporary Arabic linguistic research. Hence, the importance of the contents of the linguistic discourse, especially the issue of its revival, should be considered to be compatible with the general linguistic discourse in its social, geographical and ethnic aspects, and with the content of the discourse itself and the development of the theories it establishes. The application of specific linguistic theories in a foreign society without a deep awareness of its principles and especially its socio cultural background lead to a major failure.

Key words: academic linguistic discourse; Algerian university; Arabic patrimony; actualisation; social adaptation; culture.

-مقدمة:

يعدّ الخطاب اللسانيّ الموجّه لطلبة الجامعات عاملًا من العوامل الحاسمة التي تسهم في التأسيس للبحث اللسانيّ؛ لأنّه يتمّ في ظلّ ميثاق قائم على الفهم والإفهام، وتبادل وجهات النظر وبذلك توضَع النظريّات اللسانيّة على محكّ التلقّي والتطبيق. غير أنّ الدرس اللسانيّ في الجامعة الجزائريّة لا يزال حبيس أدبيّات التلقين، متغاضيًا في أحايّينَ كثيرةٍ عن المتلقّي وخلفياته المعرفيّة والإيديلوجيّة، وعن الواقع اللغويّ الذي يعيشه المجتمع، فيصبح الفهم أحاديَ الاتّجاه ويصبح التطبيقُ بعيد المنال.

تأسيسًا على هذه المقدّمات يمكن طرح الإشكاليّات الآتي ذكرها: ما هي العوائق التي تقف في وجه تلقٍّ واعٍ وتفاعليّ من لدن الطلبة للمقرّرات الجامعيّة التي تتّخذ مباحث اللسانيّات مضمونًا لها؟ وما السبيل إلى تحيّين هذه المقرّرات زمانيًا وتكيّيفها ثقافيًّا؟

ولأهميّة البحث الميدانيّ في مثل هذه المواضيع فقد عزّزنا هذه الورقة البحثيّة بمنحنى بيانيّ، حاولنا به أن نرصد توجّات البحث الأكاديميّ في جامعة تلمسان ممثّلًا في عناوين أطروحات الدكتوراه لقسم اللغة العربيّة وآدابها للفترة الممتدّة بين سنتَي 1990 و2016.

-1. الخطاب اللسانيّ في الجزائروخصوصيّات التلقيّ:

تتشكّل الرؤية وَفق تمثُّل الرائيّ لها. فلا يمكن بحال فصل البحث عن الذات الباحثة، ولسنا نعني بالذات الباحثة هنا الفرد، بقدر ما نعني التمثّل الجماعيّ للمفاهيم وللتصوّرات المرتبطة بها؛ فبلدان المغرب العربيّ، ونخصّ هنا تونس والمغرب الأقصى والجزائر، استطاعت في الخمسين سنة الماضية أن تؤسّس لأدبيّات بحث لسانيّ أكثر ارتباطًا بالواقع اللغويّ المعيش؛ يظهر ذلك في النزعة التعليميّة عند عبد الرحمن الحاج صالح[2]، وفي اتّخاذ عبد القادر الفاسي الفهري اللغة المنطوقة نموذجًا لأبحاثه[3]، ودراسة اللغة في الاستعمال وفق المنحى الوظيفيّ عند أحمد المتوكّل[4]، والقدرة على محاولة الخروج بالبحث اللسانيّ من أَسر الاتجاه الضاغط الذي تمثّله النظريّات اللسانيّة الكبرى، ومثال ذلك

[2]- يُنظر: عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العلميّ والنحو التعليميّ، مجلة المجمع الجزائريّ للغة العربيّة، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة وحدة الرغاية الجزائر، العدد17 ،جوان2013 ،ص13.

[3]- يُنظر: عبد القادر الفاسيّ الفهريّ، اللسانيّات واللغة العربيّة: نماذج تركيبيّة ودلاليّة، منشورات عويدات، لبنان، ط1، 1986، ص 54

[4]- يُنظر:أحمد المتوكّل، الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، منشورات الجمعيّة المغربيّة للتأليف والترجمة والنشر، نشر وتوزيع دار الثقافة، المغرب، 1985، ص9

البحث في اللسانيّات النسبيّة عند محمّد الأوراغيّ في مقابل النحو الكلّي لتشومسكي[5]. وما هذا إلّا قليل من كثير مسطّر في مظانّه.

أمّا العامل الحاسم الذي جعل الدرس اللسانيّ المغاربيّ يختلف في منطلقاته ونوازعه عن الخطاب المشرقيّ فهو بلا شك الفرونكفونيّة التي تعلن عن نفسها باستمرار في تداخل أو تلاهج مع اللغة العربيّة، ممّا يتطلّب إلمامًا بواقعٍ لغويّ عسيرٍ على الفهم. لا بدّ له من مرجعيّة نظريّة تؤسّس لفهمه، وللتعامل معه. فضلا عن التفاعلات الإثنيّة التي تتطلّب الاستعانة باللسانيّات الجغرافيّة وإعداد الأطالس اللغويّة بغية الوصول إلى فهم واعٍ ورصين لملابسات الوضع اللغويّ الراهن، وعيٌ قائم على فهم الذات في علاقتها بالآخر وبالعالم و وتَوقها إلى الاتصال بالحضارات الإنسانية الأخرى والتفاعل معها دون التخلي عن خصوصياتها الثقافية[6]. ومن هذه المنطلقات يبدو أنّ الخطاب اللسانيّ الجامعيّ سيكون بالضرورة أقرب إلى واقع العربيّة في المجتمع الجزائريّ غير أنّ الناظر فيما كُتب ويُكتب لا يلمح تلك الخصوصيّة المبتغاة.

-1-1. واقع الخطاب اللسانيّ في المقرّرات الجامعيّة وعوائق التلقّي:

-1-2. واقع الخطاب اللسانيّ في المقرّرات الجامعيّة :

يتطلّب الإلمام بمضامين الخطاب اللسانيّ وتوجّهاته في الجامعة الجزائريّة اطّلاعًا شاملًا ومفصّلًا على المقرّرات الجامعيّة، وهذا من العسير، غير أنّ رصد العناوين العريضة التي تعلن عنها الجامعات في

[5]- يُنظر:محمّد الأوراغيّ: الوسائط اللغويّة، دار الأمان للنشر والتوزيع، المملكة المغربيّة، ط1، 2001، ص11-12

[6]- نادر سراج، تجاذبات اللغة والثقافة والانتماء، مجلة التسامح، العدد5، (2004). ص68 http://tasamoh.om/index.php/nums/view/6/90

مواقعها الالكترونيّة يعلن عن انفتاح لسانيّ على مختلِف النظريّات اللسانيّة الكبرى.

غير أنّ المعنيّين بهذه المقرّرات من أساتذة وطلبة يشكون عند تعاملهم مع مضامينها تنظيرًا وتطبيقًا داءً لا يستطيعون تشخيصه، ويكادون يتّفقون على وجود أزمة في تمثّل هذا العلم وتدريسه "وتتمثّل هذه الأزمة في مجالاته النظريّة، والمنهج والموضوعات البحثيّة، والجوانب المؤسّسة المتّصلة بأقسام تدريس اللسانيّات، وبالأستاذ، وبتدريب الطلّاب"[7]، ويذهبون أبعد من ذلك حين يذعنون للهامشيّة التي تُعامل بها اللسانيّات في المقرّرات الجامعيّة مقارنة بالمباحث التراثيّة التليدة مثلًا.[8] وهو أمر يُظهر ذلك التناقض الصارخ بين واقع البحث اللسانيّ العربيّ ونظيره في الغرب.

بيد أنّ الإجماع على وجود أزمة في البحث اللسانيّ العربيّ لا يوازيه تصوّر واضح لطبيعتها ومسبّباتها، ومن ثم إمكانيّة اقتراح حلول ناجعة لتجاوزها.[9] ممّا يستدعي النظر في عوائق التلقّي لأنّها من أكثر العوامل إسهامًا في هذا الوضع.

-3.1. عوائق التلقيّ:

لازال يُشار إلى اللسانيّات بالعلم الوافد، أو علم اللغة الحديث، ممّا يقتضي وفق مبدأ المخالفة وجود علم قارّ وقديم. وذلك يثير عند المتلقّي العربيّ، بحكم عوامل عديدة أهمّها الماضي الكولونيالي، شعورًا بالخوف

[7]- أحمد محمود عشاري، أزمة اللسانيّات في العالم العربيّ، ص9، نقلا عن:حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2009، ص57.

[8]- أحمد محمود عشاري، أزمة اللسانيّات في العالم العربيّ، ص9، نقلا عن:حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص57

[9]- حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص57

يؤدّي إلى تفعيل ميكانيزمات دفاعيّة تعيق الفهم الصحيح والتمثّل الإيجابيّ والمثمر للنظريّات اللسانيّة.

ويمكن التميّيز في عوائق البحث اللسانيّ في الثقافة العربيّة الحديثة بين نوعَين اثنين من العوائق[10]:

- العوائق الموضوعيّة ذات أبعاد نفسيّة حضاريّة؛
- العوائق الذاتيّة المرتبطة بطبيعة البحث اللسانيّ في الثقافة العربيّة.

-1-4.العوائق النفسيّة والمتخيَّل الجمعيّ:

لعلّ من أبرز تجلّيات هذا الصنف من العوائق صورة الغرب في المتخيَّل العربيّ، وهي صورة زكّاها حضور بعض الأعراف اللغويّة المترسّخة في الثقافة العربيّة.[11] وصعوبة تحديد الذات في علاقتها بالآخر[12]. فعلاقتنا بالغرب قائمة على تبادل المواقع؛ فكلّ أخذٍ عنه أو استعظام لإنتاجه الفكريّ حكمٌ بالضياع على ثقافتنا واستمرارٌ لحصارها. وهذا كفيل برفض كلّ ما هو غربيّ رفضًا مطلقًا[13].

ونجد كتبًا نذرها أصحابها لنبذ مبادئ اللسانيّات، وتجاوزها، وتركيز سلطة القديم وتأكيدها[14]، وكثير منها يفتقر إلى شرط التراكم في العلم؛ إذ يقوم على النفي والإقصاء[15].

[10]- حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة ، ص 62-63

[11]- حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة ، ص63

[12]- المرجع نفسه، ص 64

[13]- المرجع نفسه، ص66

[14]- المرجع نفسه، ص124

[15]- يُنظر: المرجع نفسه، ص125-127

وذلك وغيره يخلق صورة مشوّشة عند المتلقّي العربيّ، ولا سيّما الطالب الجامعيّ الذي لديه فرص متاحة للاطلاع على كلّ ما قيل ويُقال في هذه القضيّة، ولا نغفل هنا توجّهات الأستاذ وما قد يصبغه على المادّة العلميّة من أحكام ذاتيّة بحكم توجّهه وثقافته وتكوينه. وهذه الهواجس غذّاها بحث من أدبياته الموضوعيّة والمنهج العلميّ الصارم، وهو البحث في علاقة التراث العربيّ باللسانيّات، غير أنّ كثيرًا من هذه الأبحاث خلقت إشكالات منهجيّة ومعرفيّة عويصة لدى المتلقّي.

من ذلك التداخل الحاصل بين اللسانيّات بوصفه علمًا قائمًا بذاته له مرجعيّاته الابستيمولوجيّة ووسائله الإجرائيّة، والمحتوى التراثيّ اللغويّ عند العرب الذي درس اللغة وتعرّض إلى جوانب عديدة منها لأنّ مبتغاه كان فهم القرآن الكريم وإدراك ما فيه من إعجاز لغويّ وبيانيّ، ولا غرو أن تُدرس هذه المباحث وتدرّس ولكن في سياقها الذي ولدت ونشأت فيه. نلحظ رغبة ملحّة عند غير ما باحث في ربط المنجز اللسانيّ الحديث بجذور تراثيّة، وهي رؤية ذاتيّة تكيّفها الخلفيّة المعرفيّة للباحث. أمّا أن يصل الأمر إلى إسباغ صفة النظريّات على الجهود اللغويّة التراثيّة وتدريسها في الجامعة الجزائريّة على أنّها"مدارس لسانيّة" فهذا فيه من الشطط ما فيه، شطط لا يقبله البحث العلمي الرصين بل فيه مغالطات من شأنها أن تحدث ارتباكًا عن الدارسين على اختلاف مشاربهم حيث يتجاذبهم قطبان متنافران الأوّل يميل نحو التراث وينظر إليه بعين التقديس والآخر يجنح نحو البحث اللسانيّ الغربيّ بمنطلقاته وإجرائيّته الصارمة.

- **جهود اللغويّين القدامى بمسمّى المدارس اللسانيّة:**

الناظر في برنامج السنة الأولى ماستر في تخصّص اللسانيّات التطبيقيّة بالجامعات الجزائريّة وبجامعة تلمسان على سبيل التوثيق، وتحديدًا في مقرّرات السداسي الثالث يلحظ أمرًا لافتًا وهو إدراج الجهود اللغويّة التراثيّة بمسمّى المدارس اللسانيّة، ولا يخفى ما يحمله مصطلح"المدرسة" من زخم تأسيسيّ نظريّ وإجرائيّ فضلًا على أنّ اللسانيّات التطبيقيّة مبحث دقيق في اللسانيّات لعنايته بكيفيّة اكتساب اللغة والأداء الكلاميّ والعمليّات العقليّة المرتبطة بذلك، وحوسبة اللغة وأمراض الكلام وغير ذلك ممّا لا يدع مجالًا للحدس أوالعاطفة أو لتوجّهات يحكمها النظر الجزئيّ الذي ينظر إلى التراث بعين الولاء، ويحاول أن يجد فيه منطلقات لكلّ ما هو حديث بتحميل الجهود التراثيّة والنصوص المتعلّقة بها ما لا تطيق.

وقد جاء البرنامج الخاص بمقياس اللسانيّات التطبيقيّة على النحو المبيّن أدناه[16]:

[16] : https://faclettre.univ-tlemcen.dz/assets/uploads/DOCUMENTS/ETUDIANTS/1 ماستر - pgm.pdf

عنوان المحاضر: لسانيات تطبيقية
السداسي: الثالث
اسم الوحدة: الأساسية
اسم المادة: المدارس اللسانية (محاضرة+أعمال موجهة)
الرصيد: 05
المعامل: 03
أهداف التعليم:
المعارف المسبقة المطلوبة :
محتوى المادة:

وحدة التعليم الأساسية	مادة: المدارس اللسانية	المعامل: 03	الرصيد: 05

رقم	مقررات المحاضرة	مقررات الأعمال الموجهة
01	الاستلزام الحواري	المعنى المستلزم مقاميا
02	المدرسة الخليلية 1	الخليل بن أحمد
03	المدرسة الخليلية 2	عبد الرحمن حاج صالح
04	المدرسة الخليلية 3	المفاهيم الأساسية للمدرسة الخليلية
05	المدرسة الخليلية 4	المفاهيم الأساسية للمدرسة
06	الجاحظ ومدرسة البيان 1	الجاحظ
07	الجاحظ ومدرسة البيان 2	فصاحة الكلمة
08	الجرجاني ومدرسة النظم 1	الجرجاني ونظرية الإعجاز
09	الجرجاني ومدرسة النظم 2	النظم والمعنى النحوي
10	الجرجاني ومدرسة النظم 3	النظم والأسلوب
11	السكاكي ومدرسة البلاغة 1	السكاكي
12	السكاكي ومدرسة البلاغة 2	السياق ومقتضى الحال
13	المدارس اللسانية العربية1	مفهومها وأهم الأفكار التي دافت بها
14	المدارس اللسانية العربية2	روادها

مقياس المدارس اللسانيّة ضمن الوحدة الأساسيّة للتعلّم المنوط بها تقديم المعارف التي تعدّ ركائز التكوين المعرفيّ للطالب، ومع ذلك نلحظ حشدًا للجهود اللغويّة التراثيّة في النحو والمعاني، فضلًا عمّا يعرف بالمدرسة الخليليّة الحديثة لمؤسّسها عبد الرحمن حاج صالح، ومن باب الموضوعيّة القول إنّ هذه المباحث على قدر عال من الأهميّة ولكن ليس فيها المقام ولا في هذا المسار ولا بهذه الطريقة التي تجعل الطالب لا يستوعب مضامينها أو ما أضافته إلى البحث اللغويّ إنّما يقع في فخّ الحشو دون استيعاب ودون تمثّل لأهداف هذه الجهود ومقاصدها بدءًا من عنوان "المدارس اللسانيّة" الذي يحيل ظاهره إلى بناء معرفيّ له

مرجعياته ومصطلحاته ووسائله الإجرائيّة وهذا ملا يمكن تحديده بدقّة في هذه الجهود التي كيّفتها ظروف غير تلك التي كيّفت البحث اللسانيّ الحديث بمدارسه المعروفة.

ثقافة الولاء مازالت مسيطرة على مفاصل البحث اللسانيّ العربيّ، ويظهر ذلك بالمقرّرات الجامعيّة سافرًا وفي البحوث الأكاديميّة ولا يكاد يسلم منه إلّا القلّة القليلة وإن كانت لا تجاهر بذلك إلّا نادرًا حينما تأمن العتاب. والفلسفة الكامنة وراء ذلك هو الرغبة في بناء نسق لسانيّ عربيّ يمتدّ من التراث إلى أن يلامس الواقع اللغويّ المعيش ويتّخذ لنفسه ركائز معرفيّة ووسائل إجرائيّة تتناسب مع طبيعة اللغة العربيّة وارتباطها الوثيق بالدين الإسلاميّ وبروافد الثقافة العربيّة الإسلاميّة، بعيدًا عمّا يبدو لعيديد الدارسين تغريبًا يمسّ بكيان اللغة العربيّة، وأمام ضرورة الوصول إى رؤيا للسانيّات توفيقيّة :"تتبنّى انموذجًا وصفيًّا يمزج المقولات النظريّة الغربيّة الحديثة بمقولات نظريّة النحو العربيّ"[17] فإن لم يتحقّق ذلك وجد اللسانيّون العرب أنفسهم أمام اتجاهين إمّا بناء نظر لسانيّ ذي أسس تراثيّة قائم عل الفهم الصحيح للغة بوصفها ظاهرة عالميّة بعيدًا عن طقوس التقديس ولإمّا إعلان القطيعة التامّة مع التراث القديم وإعمال الوسائل الإجرائيّة للسانيّات الحديثة في اللغة العربيّة، غير أنّ هذا الأمر الثاني فيه تهديد للثقافة العربيّة الإسلاميّة[18] بالنظر إلى أنّ اللغة وعاء الفكر وترجمان ثقافة الأمّة الناطقة بها.

[17]- محمود السعران، علم اللغة، مقدّمة للقارئ العربيّ، دار الفكر العربيّ، الطبعة2، القاهرة، مصر، 1997، ص18.

[18]- يُنظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

-1-5.العوائق المنهجيّة وأزمة لسانيّات التراث:

ينكشف عند التأمّل في المنجَز اللسانيّ عند الدارسين العرب أنّه قائم على «فهم عامّ لمضامين النظريّة اللسانيّة، وإدراك غير واضح لها بسبب تداولهم إيّاها تداولًا حدسيًّا وتلقائيًّا متناسين في حالات عديدة مصادرها الفكريّة، والأسس النظريّة والمنهجيّة التي تقوم عليها... إنّ المفاهيم اللسانيّة الحديثة ترتبط في جوهرها بمبادئ منهجيّة على جانب كبير من التعقيد باعتبارها جزءًا من شبكة من الإشكالات المتداخلة»[19]، واتّخاذ هذه المفاهيم والتصوّرات في حواريّة متكافئة الأطراف مع التراث، يستوجب استحضار المفاهيم التي وجّهت التفكير اللغويّ العربيّ في المسار الذي سار فيه بكلّ ملابساته وأبعاده[20]، فالمقاربات التي تتّخذ المناهج الحديثة معيارًا تُقاس به المفاهيم التراثيّة «أقرب ما تكون إلى العمل الفيلولوجيّ من حيث إنّها تضع الشروح المساعدة على فهم النصوص القديمة». وحين تُفقد الوسائل الإجرائيّة الملائمة تصبح المفاهيم التراثيّة خاضعة لإرادة الشارح[21].

فلسانيّات التراث تصرّح بأهدافها من القراءة، والمتمثّلة في التقريب بين التراث اللغويّ العربيّ واللسانيّات، وهذا ما يظهر من عناوينها وخطاب مقدّماتها[22]، غير أنّها تتّخذ اللسانيّات أصلًا اعتباريًّا، وبذلك تكون القراءة في لسانيّات التراث قائمة على نوع من الجذب الأصوليّ يكون المجذوب فيه

[19]- حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة ، ص28

[20]- مصطفى غلفان: ‹اللسانيات العربيّة الحديثة دراسة نقديّة في الأسس النظريّة والمنهجيّة› منشورات كليّة الآداب، المغرب، دط، 1998، ص54

[21]- مصطفى غلفان: ‹اللسانيات العربيّة الحديثة دراسة نقديّة في الأسس النظريّة والمنهجيّة› منشورات كليّة الآداب، المغرب، دط، 1998، ص156.

[22]- حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص184.

هو التراث اللغويّ العربيّ والمجذوب إليه هو اللسانيّات[23]، وتكون المماثلة التي تكشف عنها لسانيّات التراث قائمة على التأويل المفرط وليّ أعناق النصوص.[24]

وبذلك يُقاس الثابت بالمتغيّر؛ فلا غروَ أن نجد عبد القاهر الجرجانيّ مثلًا بنيويًّا مرّة ووظيفيًّا مرّة وتداوليًّا حينًا آخر. وأنّ العامل في العربيّة مفهوم فلسفيّ لا بدّ من إلغائه ثم يصبح معطًى لسانيًّا تراثيًّا أصيلًا حين يؤسّس تشومسكي للربط العامليّ، وأمثلة ذلك كثيرة. تجعل المتلقّي العربيّ والطالب الجامعيّ بخاصّة يشعر أنّه يقف على أرض هشّة، وأنّ كلّ ما يكدّ ذهنه في فهمه وتحصيله معرَّض إلى أن تهبّ عليه رياحٌ تجثتّه من أصله.

لأنّ إعمال المفاهيم اللسانيّة في التراث يكاد يكون أصعب من تحصيل هذه المفاهيم في حدّ ذاتها، وإدراكها في مصادرها أو نشرها بلسان غير اللسان الذي اكتُشفت فيه؛ لأنّ إخراجها من سياقها الحضاريّ الأصليّ، وإعمالها في سياق مغاير يتطلّب تكيّيفها تكيّيفًا قد يحيد بها عن مفاهيمها وغاياتها الأصليّة[25].

أكّد كثير من الباحثين، في ظلّ هذا التفكّك القائم، على ضرورة إقامة بحث لسانيّ مستمدّ من اللغة العربيّة. دون إلغاء للنظريّات اللسانيّة الحديثة، التي توفّر وسائل إجرائيّة وأدوات تفسيريّة، قادرة إن أعملت بشكل صحيح وواع على تقديم فهم أفضل للبحث اللغويّ العربيّ. غير أنّ هذا الطرح تكتنفه ملابسات وإشكالات جمّة، خصّها مصطفى

[23]- المرجع نفسه ، ص184.

[24]- المرجع نفسه، ص185

[25]- يُنظر: عز الدين مجدوب: المنوال النحويّ العربيّ (قراءة لسانيّة جديدة)، دار محمّد علي الحامي للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1998، ص 42

غلفان بالبحث والتمحيص في كتابه "اللسانيات العربية الحديثة"، إذ يرى بأنّ أزمة اللسانيات العربية هي" أزمة أسس ، وأزمة في المنطلقات الفكرية والنظرية والمنهجية التي تؤسس مجالًا معرفيًّا معيَّنا وتحدّد معالمه ، إما لعدم وضوحها بشكل كاف وإما لكون التراكم المعرفي المتوفر في هذا المجال قد وصل إلى طريق مسدود ما يتطلب إعادة النظر في الأسس، والمبادئ العامة[26]

-1-6.التحيّين الزمانيّ وأزمة اللسانيّات التمهيديّة:

الدراسات اللسانيّة في تجدّد مستمرّ؛ إذ إنّ البحث اللسانيّ عند الغرب وصل درجة من التراكميّة تسمح بالتأسيس لمفاهيم جديدة وتطوير مفاهيم موجودة، غير أنّ عددا من اللسانيّين العرب يظهر من كتاباتهم عدم مواكبتهم لما يطرأ على الدرس اللسانيّ من تطوّرات نظريّة هامّة "اتّضح ذلك مثلا في الندوة التي عقدتها منظّمة اليونسكو بالرباط سنة 1987، حول "تطوّر اللسانيّات في البلدان العربيّة"؛ حيث إنّ كثيرًا من اللسانيّين العرب المشاركين في هذه الندوة لم يتمكّنوا من متابعة بعض البحوث اللسانيّة لاسيّما بحوث المغاربة. وللإشارة فإنّ المشاركين في هذه الندوة يعدّون من صفوة اللغويّين العرب المحدثين وأكثرهم تأليفًا"[27].

ويظهر عدم التحيّين في التغيّيب الواضح لنظريّة لسانيّة جديدة تتمثّل في الهندسة اللغوية الذهنية، و المعروفة حاليًّا بمصطلح أكثر اختصارا يترجمه بعض الباحثين بالتوليفيّة.

[26]- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة (دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية)، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، دط، 1998، ص20.

[27]- نفس المرجع، ص40.

غير أنّ ما يضع الخطاب اللسانيّ الموجَّه إلى طلبة الجامعات في مأزق حقيقيّ هي بعض المؤلّفات المعتمدَة في اللسانيّات التمهيديّة والتي تظهر عجزًا واضحًا عن مسايرة مستجدّات البحث اللسانيّ[28].

فعددٌ لا يستهان به من مؤلّفي هذا النمط من الكتابة يردّدون الكثير من مبادئ الدرس اللسانيّ التي تجاوزها الزمن منذ أمد بعيد[29]. وكتب اللسانيّات التمهيديّة هي المؤلّفات المعتمدة في التدريس الجامعيّ بامتياز، ممّا يجعل كلًّا من الطالب والأستاذ أمام كتابة لسانيّة قائمة على التبسيط،"تعد القارئ المبتدئ بمنحه المفاتيح التي تمكّنه من فكّ مستغلقات اللسانيّات، وتمكينه من مبادئها، وهذا ما تنطق به عناوينها وخطابات مقدّماتها. غير أنّ ما يعبّر عنه متن بعض هذه الكتابات يبقى، في غالبيته، مغايرًا بل مناقضًا لتلك الأهداف المعلنة، وهذا يخلق فجوة بين ما يحفّز المتلقّي على القراءة وبين ما يقرأه فعلًا"[30].

وتختلف الكتابات التمهيديّة في منطلقاتها النظريّة والمنهجيّة، وأغلب ما بأيدينا اليوم كتابات تمهيديّة يهيمن عليها الاتجاه الوصفيّ الذي كان سائدًا زمن تأليفها، والاتّجاه البنيويّ الذي يظهر في أحد أهمّ الكتب العربيّة الحديثة وهو "علم الدلالة" لصاحبه أحمد مختار عمر، والذي أشار غير ما مرّة إلى رغبته في تحيّين مضامينه ليواكب ما استجدّ في البحث اللسانيّ إلّا أنّ ذلك لم يتحقّق إلى يومنا هذا[31]. ومن المآخذ المنهجيّة على بعض من كتب اللسانيّات التمهيديّة شحنها بإشكالات عويصة من نحو أزمة المصطلح اللسانيّ الذي يعدّ مبحثًا شائكًا في

[28]- المرجع نفسه ،ص118.

[29]- المرجع نفسه، ص119.

[30]- حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص122،ص123.

[31] حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص122.

اللسانيّات العربيّة[32]، وأن يعمد مؤلّفوها، بدافع التأصيل، إلى المقارنة بين التراث اللغويّ العربيّ ومبادئ الدرس اللسانيّ الحديث، وهي مقارنة لا تخلو من تعسّف وإفراط في التأويل لأنّها تتجاهل الأصول الابستمولوجيّة لكل علم[33].

من عناوين كتب اللسانيّات التمهيديّة[34]:

- علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي
- علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربيّ لمحمود السعران
- الألسنيّة (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام لميشال زكريا
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث فيه لرمضان عبد التوّاب
- مدخل إلى علم اللغة لمحمود فهمي حجازي

وتظلّ كتب اللسانيّات التمهيديّة من المراجع التي لا غنى للأستاذ والطالب عنها، وإنّما وجب على كليهما التعامل معها بحرص وبذهن ناقد.

وممّا لا ريب فيه أنّ الطالب الجامعيّ عليه أن يوسّع أفق اطّلاعه، وألّا يكتفي بما كتب باللغة العربيّة في ميدان اللسانيّات والمباحث المتعلّقة بها، وإنّما عليه الرجوع إلى المعلومة اللسانيّة في مظانّها الأصليّة لعدم توفّر الترجمة أو لقصورها في بعض الأحيان عن أداء المعنى المراد. وهناك مباحث تندر الترجمة فيها من نحو اللسانيات الحاسوبية.

[32] المرجع نفسه، ص123.

[33] المرجع نفسه، ص 102.

[34] يُنظر: وليد احمد العناتي، اللسانيات الحاسوبية العربية:المفهوم،التطبيقات،الجدوى .مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات، مج7-ع 2 -2005، ص 61-81.

الخاتمة:

إن كان الغرض من تدريس اللسانيّات هو تقديم فرش نظريّ يسهم في تطبيق أفضل للوسائل الإجرائيّة والأدوات التفسيريّة، التي تقدّمها النظريات اللسانيّة الحديثة للتعامل مع الواقع اللغويّ وفهمه. فأنّ الواقع يظهر ميلًا كبيرًا عند الباحثين الأكاديميّين نحو لسانيّات التراث في محاولة لاستنطاق النصوص التراثيّة لسانيًّا، ممّا غيّب البحث اللسانيّ القائم على النظر في واقع اللغة العربيّة ومحاولة إيجاد جهاز تفسيري خاصّ بها. وهذا الخلل عائد في المقام الأوّل إلى نقص الاهتمام بتحيّين المقرّرات الجامعيّة في حقل اللسانيّات وتكيّيفها وفق الوضع الزمني والحضاريّ للمتلقّي.

الطالب الجامعيّ يحتاج إلى أن يفهم النظريّات اللسانيّة وتطبيقاتها فهمًا واعيًا ليسهم في حلّ كثير من المشكلات اللغويّة في واقعه، من نحو التعامل مع الواقع اللهجيّ المعقّد، والقدرة على استثمار نتائج البحث اللسانيّ في التعليم. وفهم الذات في علاقتها بالآخر فهمًا بعيدًا عن الأحكام القيميّة وغير الموضوعيّة.

ومهما قيل ويُقال عن اللسانيّات وطرائق تدريسها في الجامعة الجزائريّة فإنّ المقرّرات والقائمين عليها ذوو كفاءة لا ينكرها إلّا جاحد، غير أنّ الطالب ملزَم بالاطّلاع والبحث ليؤسّس لمعارفه بنفسه، ويعمّقها، وهذا ما وُجد النظام الجديد لأجله.

****قائمة المصادر والمراجع:**

الكتب:

1-الأوراغيّ محمّد: الوسائط اللغويّة، دار الأمان للنشر والتوزيع، المملكة المغربيّة، ط 1، 2000.

2-الحاج صالح عبد الرحمن ، النحو العلميّ والنحو التعليميّ، مجلة المجمع الجزائريّ للغة العربيّة، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة وحدة الرغاية الجزائر، العدد17،جوان2013

3-سراج نادر ، تجاذبات اللغة والثقافة والانتماء، مجلة التسامح، العدد5، (2004).

4-محمود السعران، علم اللغة، مقدّمة للقارئ العربيّ، دار الفكر العربيّ، مصر، ط1997،2

5-علويّ إسماعيليّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2009.

6-العناتي أحمد وليد ، اللسانيات الحاسوبية العربية:المفهوم،التطبيقات،الجدوى .مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات، مج7-ع 2 -2005

7-غلفان مصطفى: اللسانيات العربيّة الحديثة دراسة نقديّة في الأسس النظريّة والمنهجيّة، دط منشورات كليّة الآداب، المغرب،، 1998

8-الفاسيّ الفهريّ عبد القادر ، اللسانيّات واللغة العربيّة: نماذج تركيبيّة ودلاليّة، منشورات عويدات، ط1، لبنان، ، 1986.

9-المتوكّل أحمد ، الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة،[د.ط]، منشورات الجمعيّة المغربيّة للتأليف والترجمة والنشر، نشر وتوزيع دار الثقافة، المغرب، 1985.

10- مجدوب عز الدين: المنوال النحويّ العربيّ (قراءة لسانيّة جديدة)، دار محمّد علي الحامي للنشر والتوزيع، ط1 ،تونس ، 1998.

المواقع:

1. http://tasamoh.om/index.php/nums/view/6/90
2. https://faclettre.univ-tlemcen.dz/assets/uploads / DOCUMENTS/ ETUDIANTS /1 ماستر -pgm.pdf.

معاجم المعاني والموضوعات في التراث اللغوي

-معجم الغريب المصنف لأبي عبيد أنموذجا -

Dictionaries of meanings and topics in the linguistic heritage -The compiled dictionary of al -Gharib by Abu Ubayd as a model–

الدكتور: الطاهر نعيجة
أستاذ محاضر "أ" جامعة 8 ماي 1945 قالمة
naidja.tahar@univ-guelma.dz
رقم الهاتف: 06.75.00.94.80

تاريخ الإرسال: 2021/02/23--تاريخ القبول: 2021/07/12- تاريخ النشر: 2021/12/26.

ملخص:

لم تحظ معاجم الموضوعات أو ما يسمى بمعاجم المعاني باهتمام الباحثين ولم يوفّ الدارسون هذا النوع من المعاجم حقها من حيث التحقيق والدراسة وكانوا يمرون عليها مرورا عابرا حيث كان ما يشغلهم أكثر هو معاجم الألفاظ ومدارسها، ولهذا فإنهم من بين ما يركزون عليه هو معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد عرف التأليف المعجمي عند العرب بفضل هذه المعاجم الموضوعاتية لأول مرة شكلا منتظما بعد أن كان عبارة عن كلمات مشروحة مبعثرة غير مرتبة ومحدودة وغير شاملة، كما هو الحال في مسائل نافع ابن الأزرق وبعدها على شكل رسائل تشمل كلمات يربطها حقل دلالي أو موضوع معين.

الكلمات المفتاحية: المعاجم الموضوعية؛ التأليف في معاجم الموضوعات؛ أبو عبيد القاسم؛ مصطلح الغريب؛ معجم العين.

Abstract:
The subject dictionaries or the so-called dictionaries of meanings did not receive the attention of researchers, and the scholars of this type of dictionaries did not fulfill their right in terms of investigation and study, and they used to pass through it as they were most concerned about the dictionaries of words and their schools, and for this they are among what they focus on is the dictionary of "Al Ain" For Khalil bin Ahmad Al-Farahidi, and the lexical composition was known to the Arabs thanks to these objective dictionaries for the first time in a regular form after it was composed of annotated words scattered unordered, limited and non-exhaustive, as is the case in the issues of Nafeh ibn al-Azraq and then in the form of letters that include words linked by a semantic field Or a specific topic.
Keywords: Subject dictionaries; Authoring in dictionaries of subjects. Abu Obaid Al Qasim; Odd term; The Eye Lexicon.

-مقدمة:

في تراثنا اللغوي الكثير من المعاجم الجامعة لمواد اللغة مرتبة بحسب الموضوعات، ومما يذكر هنا أن طريقة اللغوين العرب في بدء مراحل جمع اللغة وتدوينها المتمثلة في جمع الألفاظ والشواهد التي تدور حول موضوع واحد لا تعبر –بحق الثّرُ الذي اغترف منه المعجميون والمتأخرون مادتهم ومنهجهم. ونهدف من خلال هذا البحث إلى التعرف على هذا النوع من التأليف وفق منهج وصفي تحليلي، حيث كان مرحلة لاحقة لمرحلة الرسائل اللغوية التي تتناول الإنسان والحيوان والنبات من الناحية المعجمية والثروة اللفظية لا غير. ويعد معجم "الغريب المصنف" من أهم معاجم المعاني والموضوعات في المكتبة اللغوية العربية والتي انتشرت نصوصها في ثنايا معاجم الألفاظ المتأخرة وقلّ أن تجد معجما من هذه المعاجم المتأخرة يخلو من ذكر صاحبه أبي عبيد.

1. مفهوم معاجم الموضوعات:

يطلق هذا النوع من المعاجم التي تتجه في بنيتها التركيبة من المدلول إلى الدّال، وترتّب الدوال اللغوية بحسب معانيها لا بحسب ألفاظها، أي أن الكلمات فيها تصنف وفق مجموعات دلالية، ويبدو أن الغاية من تأليف هذه المعاجم إضافة لخدمة أغراض اللغة وبيان وجوهها، ومداخلها، وتلونات أبعادها القصد التعليمي، وقد كان هذا النوع من التأليف مرحلة لاحقة للرسائل اللغوية، وقد اضطلع به نفر من أهل اللغة عاشوا في القرن الثاني للهجرة، واعتبرت مادتهم في هذه التصانيف الأساس لمؤلفي المعاجم اللغوية في الفترة اللاحقة[1].

2. الفرق بين معاجم الموضوعات والرسائل اللغوية:

الرسائل اللغوية أسبق ظهورا من معاجم المعاني والموضوعات، والثانية تعد مصدرا من مصادر الأولى، وكلاهما اعتمد الترتيب الموضوعي لتقديم المادة اللغوية، والحقيقة المُهمّة أن الرسائل اللغوية أضيق مادة من معاجم المعاني والموضوعات؛ فالأولى تختص بموضوع واحد في كتاب واحد قد يكون عن الإنسان أو الحيوان أو النبات ولذلك سمّيت أيضا بالمعاجم ذات الموضوع الواحد، أما الثانية فإنها حاولت أن تجمع أكبر قدر ممكن من هذه الرسائل اللغوية بين دفّتي كتاب واحد[2].

---

[1] _ أنظر: عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية، دار صفاء، عمان، ط1، 2010، ص48.

– حسن ظاظا: كلام العرب، الإسكندرية، د ط، 1971، ص 148.

[2] _ أنظر: أحمد فرج الربيعي: مناهج معجمات المعاني، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، د ط، 2001، ص 26.

– رياض زكي قاسم: المعجم العربي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1987، ص 126.

3. التأليف في معاجم الموضوعات:

ومن الكتب التي ألفت في هذا المجال نذكر:

أ. الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني ت 320هـ، وهو أول كتاب يقابلنا من تلك الكتب، التي رتبت فيها الكلمات بحسب المعاني والموضوعات.

ب. جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر ت337هـ، وهو كتاب يتوخى فيه صاحبه الإرشاد العملي إلى الأسلوب الجزل، والعبارات المتأنقة في الموضوعات المختلفة.

ج. متخيّر الألفاظ لأحمد بن فارس اللغوي ت395هـ، وهذا أيضا كتاب في الألفاظ الجزلة والعبارات الرائعة التي تعلو على المبتذل المسترذل، وتنزل عن الغريب الوحشي.

د. التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري ت395هـ، وقد أراد به مؤلفه أن يفي بما عجزت جميع كتب الأسماء والصفات عن بلوغ غايته.

هـ. مبادئ اللغة للخطيب الإسكافي ت 421هـ، وهو من الكتب التي تشبه "الغريب المصنف" لأبي عبيد في ترتيب الكلمات بحسب المعاني، وهو كتاب صغير نسبيا، وينقسم إلى عدة أبواب صغيرة.

و. فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ت429هـ وهو من الكتب التي رتبت فيها الكلمات بحسب المعاني والموضوعات أيضا، وضعه للوزير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي.

ز. المخصص لأبي الحسن إسماعيل بن سيده ت 458هـ، وهو من أضخم وأشمل المعاجم الموضوعية[1].

[1] _ انظر: عبد الكريم مجاهد مرداوي: مناهج التأليف المعجمي عند العرب، دار الثقافة، عمان، ط1، 2010، ص 160.

4. أهمية معاجم الموضوعات:

وهي معاجم جامعة لمادة اللغة، مرتبة بحسب المعاني والموضوعات، حيث تحصي المفردات الموضوعة لمختلف المعاني بعد ترتيبها بطريقة خاصة وتحت كل معنى منها تندرج الألفاظ التي تستعمل للتعبير عن هذا المعنى، إنّ المعاجم الموضوعية لا تفيد من عثر على كلمة وأراد ضبطها أو شرحها، ولكنها تفيد من يدور في ذهنه معنى من المعاني، أو موضوع من الموضوعات ويريد أن يجمع الألفاظ المتعلقة لذلك المعنى أو ذلك الموضوع، فهذا النوع من المعاجم يفيد المترجمين والكتّاب والشعراء والناشئين لأنه يمدهم بالألفاظ المناسبة لمعنى من المعاني يجول في خواطرهم، ولكنهم يقفون حائرين لا يدركون كيف يعبرون عنه بدقة ولا يجدون ما يقابله من الألفاظ[1]. يقول الدكتور محمود سليمان ياقوت: «وكان هناك هدف أساسي لبعض المعاجم الموضوعية لقي اهتمام واضعيها وعنايتهم وهو "التثقيف اللغوي" للكتاب والشعراء والمشتغلين بصناعة الكتابة»[2]

5. التعريف بالمؤلف:

هو أبو عبيد القاسم بن سلام من أهل خراسان، كان مولى للأزد وقيل للأنصار، كان أبوه عبدًا روميًّا، أخذ العلم عن أكابر شيوخ عصره كالأحمر بن المبارك، والأصمعيّ، وابن الأعرابي، وأبو زيد الأنصاري، والكسائي، والفرّاء، وغيرهم، وقد روي عنهم جميعًا، وأخذ عنه جماعة من

– حلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1997، ص 301.

[1] _ عبد الكريم الرديني: المعجمات العربيّة، دار الهدى، الجزائر، ط2، 2006، ص 138.

[2] _ محمود سليمان ياقوت: معاجم الموضوعات، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د ط، 2002، ص18.

العلماء مثل: أحمد بن حنبل، والبلاذري، والبخاري صاحب الصحيح وغيرهم.

وقد امتدحه العلماء وأثنوا عليه خيرًا، يقول عنه الأزهري: كان ديّنًا فاضلًا عالمًا، أديبًا فقيهًا صاحب سُنَة، معنيًّا بعلم القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والبحث عن تفسير الغريب والمعنى المشكل، يقول عنه أحمد بن حنبل: أبو عبيد أستاذ، وهو يزداد عندنا كل يوم خيرًا، ويقول الجاحظ: ومن المعلّمين ثم الفقهاء والمحدثين ومن النحويين والعلماء بالكتاب والسنّة والناسخ والمنسوخ وبغريب الحديث وإعراب القرآن ممن جمع صنوفًا من العلم: أبو عبيد القاسم بن سلام، وكان مؤدبًا لم يكتب الناس أصّح من كتبه، ولا أكثر فائدة.

وقد قضى أبو عبيد زمنًا طويلًا في صحبة عبد الله بن طاهر والي خراسان، وقيل إنَّه فرض له كل شهر عشرة آلاف درهم على كتابه في (غريب الحديث) ثم قدم إلى بغداد، وحجّ سنة 214هـ، فبقى مجاورًا لمكّة، وتوفي بها سنة 224هـ[1].

[1] _ أنظر ترجمته في:

- ابن النديم: الفهرست، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص312.
- ابن الأنباري: نزهة الألباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 122.
- الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، د ت، ص199.
- القفطي: إنباه الرواة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، 2009م، ج3، ص12.

6. التعريف بالكتاب:

يُعد أبو عبيد بحق رائد التأليف في معاجم الموضوعات والمعاني، فكتابه (الغريب المصنّف) أوّل كتاب وصل إلينا في هذا الشأن، وهو من أجّل مؤلفات أبي عبيد، وقد نال شهرة واسعة وعناية عظيمة، منذ ظهوره حتى بلغت الشروح والمختصرات التي دارت حوله سبعة عشر كتابًا، وهو دليل قاطع أن نتبيّن من خلاله مدى اهتمام العلماء بهذا الكتاب النفيس، ويكفي هذا الكتاب أن يعّد من أوائل وأهّم معاجم الموضوعات والمعاني وقد أجمل ابن درستويه وصف كتاب (الغريب المصنف) فقال عنه: وكتبه مستحسنة مطلوبة في كل بلد، والرواة عنه مشهورون، ثقات ذوو ذكر ونبل[1].

وقد وقف محقق الكتاب الدكتور رمضان عبد التواب وقفة ابن درستويه يقول: يروي أبو عبيد في كتابه عن نَيّف وأربعين لغويًّا وأعرابيًّا، وينحصر جهده في جمع الروايات وتنظيمها وتبويبها تحت عناوين مختلفة، ولكنَه أحيانًا يشرح كلمة أو يفسّر بيت شعر، وتارة يُعقب على رأي، وطورًا يوازن بين تفسير لغويين ويختار أحدهما[2].

وينقسم الكتاب إلى خمسة وعشرين كتابًا يحتوي كل كتاب منها على عدة أبواب، ويحتوي الكتاب كلّه على ما يقرب من 900 باب تختلف طورًا وقصرًا، أمَا الأبواب الأصول فهي:

1. خلق الإنسان 2. النساء 3. اللباس 4. الأطعمة 5. الأمراض 6. الدّور والأرضين 7. الخيل 8. السلاح 9. الطيور والهوام 10. الجبال 11. القدور والأواني 12. الشجر والنبات 13. المياه والقُنى 14. النخل 15. السحاب

[1] _ القفطي: إنباء الرواة، ج3، ص 14.

[2] _ أبو عبيد القاسم بن سلام: الغريب المصنَف، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1989، ج1، ص 67.

والأمطار 6 .الأزمنة للشيء الواحد17 . أمثلة الأسماء 18 . أمثلة الأفعال 19 . الأضداد 20 . الأسماء المختلفة 21 . الإبل 22 . الغنم 23 . الوحوش 24 . السّباع 25 .الأجناس.

وتمثل مادة الكتاب جزءًا كبيرًا من مادة المعاجم العربيّة، كما أنّ معاجم الموضوعات والمعاني قد جرت على طريقته في التبويب فضلًا عن تضمّنها جزءًا كبيرًا من مادته، ويكفي هنا الإشارة إلى أنّ كتاب (المخصص) وهو أضخم هذه المعاجم جاء على نمط الغريب المصنف.

7. منهج أبي عبيد في تحليل مواد الغريب المصنف:

لم يقدم أبو عبيد لمعجمه بمقدمة تبين منهجه ومصادره في كتابه، وتعتمد خطة أبي عبيد في تحليل مواده من:

أ. ذكر اسم الرواة أولا إذ يسبق الكلمة عنده ذكر الراوية فينقل روايته ويفسرها، يقول: «وقال الأصمعي الكتد ما بين الكاهل إلى الظهر، والثبج مثله»[1]

ب. عدم الإطالة في الشرح، وهذا ديدنه في المعجم كله، ومثال اختصاره في الشرح يقوله: «البرشام: حدّة النظر، والمُبرشم: الحاد النظر، والجِندِيرة والحندَورة: الحدقة، والحنديرة: أجود، والإطراق استرخاء العين...»[2].

ج. جاءت مواد الغريب المصنف على نوعين، كتب وأبواب دلالية معجمية وهي الغالبة وكتب وأبواب تحوي مواد صرفية وعروضية، وظواهر لغوية وهي أقل مساحة من المبادئ الدلالية.

[1] _ أبو عبيد: الغريب المصنف، ج1، ص264.

[2] _ المصدر نفسه، ج1، ص 265.

د. الإشارة إلى ذكر الكلمة بأنها لغة كما يذكر معها الجماعة المستعملة لها، ومن ذلك قوله:

- «والدُّملص، والدُّمالص: الذي يبرق لونه، وبعض العرب يقول: دُلمص، ودلامص»[1]. - « قيل مَجَلَتْ تمجَل، ومجلت تمجُل»[2].

هـ. النصّ على أصل الكلمة المعربّة، وهي في غالبها فارسية، ويذكر أبو عبيد المقابل العربي للكلمة المعرّبة التي يذكرها ثم يشرحها مثال ذلك قوله: «قال أبو عبيدة: يقال: رجل مَعِنٌّ مِتِيحٌ، وهو الذي يعرضُ في كل شيء ويدخل فيما لا يعنيه، قال: وهو تفسير قولهم بالفارسيّة: «أندرويست»[3].

و. البدء بتقديم الشاهد على اللفظ المشروح، فهو يأخذ اللفظ من البيت ثم يشرحه، خلافًا لما ألفناه في الكتاب من تقديم اللفظ على الشاهد، يقول: «قال أبو عمرو: وقال مالك بن عوف النصري:

تعرّض ضَيْطَارو فَعَالةَ دُوننا وما خيرُ ضيْطارٍ يُقلّب مسْطَحًا

يعني ضبطاري خزاعة، يقول: ليس معه سلاح يقاتل به غير مسطح، والجمع ضيطارون وضياطرة...[4].

وقد استشهد أبو عبيد في معجمه بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر، حيث استشهد في المعجم في القرآن الكريم، وتقلّ هذه الشواهد جدا في الجزء الأول منه، إذ تبلغ فيه ستة شواهد فقط[5]، ومن الحديث جاء قوله: «والضغاييس: شبه صغار القثاء، يؤكل شُبّه الرجل بها، وجاء

[1] _ المصدر نفسه، ج1، ص303.

[2] _ المصدر نفسه، ج1، ص271.

[3] _ المصدر نفسه، ج1، ص338.

[4] _ أبو عبيد: الغريب المصنف، ج،1 ص282.

[5] _ أبو عبيد: الغريب المصنف، ج1، ص 141 (مقدمه المحقق).

في الحديث: «أهدي إلى رسول الله ﷺ ضغاييس...»[1]. وأما الشعر فقد نال حصة الأسد منها أبيات كاملة ومنها أنصاف الأبيات والمعروف أن اللغويين قد قسموا الشعراء إلى أربع طبقات هي: طبقة الجاهليين، طبقة المخضرمين، طبقة الإسلاميين، وطبقة المولدين، ويبدؤون من العصر العباسي، وأولهم بشار بن برد، وكان أبو عبيدة يقول: «افتتح الشعر بامرئ القيس، وختم بابن هرمة»[2] وهو إبراهيم بن هرمة ت150هـ.

8. مصطلح الغريب:

أول من يعزى إليه كتاب في غريب القرآن هو عبد الله بن عباس ت68هـ حيث قال: «إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوا في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب»[3]، ثم قال أيضا: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب...»[4]، ويفهم من ذلك أن غريب اللغة وغريب القرآن يمكن فهمهما في ضوء استعمال الشعر العربي قبل الإسلام لمثل هذه الكلمات وليس أدل على ذلك ما يعرف بـ (مسائل نافع بن الأزرق) حيث كان ابن العباس يسأل عن معاني ودلالات أكثر من مائه وخمسون لفظة ويجيب عنها بالشاهد من الشعر على المعنى. ومعنى هذا أن مصطلح "الغريب" سواء في القرآن أو في اللغة يدل على ذلك الألفاظ التي تحتاج إلى شرح وتفسير ليس لأنّها غامضة أو نادرة الاستعمال أو حوشيّة، وإنما لأن الناس قد يتفاضلون في العلم باللغة،

[1] _ المصدر نفسه، ج1، ص330 ـ331.

[2] _ السيوطي: المزهر، ج2، ص489.

[3] _ القفطي: إنباه الرواة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1950، ج3، ص12.

[4] _ السيوطي: المزهر: تحقيق محمد أحمد المولى وآخرين، دار إحياء العلوم العربية، القاهرة، د ت، ج1، ص 185.

فبعضهم واسع العلم بها، وبعضهم أقل علما، وآخرون لا يعلمون يدل على ذلك أن علماء العربية القدماء وعلماء البلاغة منهم خاصة، اشترطوا في فصاحة اللفظ البعد عن الغرابة[1].

9. الغريب المصنف ومبدأ الجمع:

لم يقدم أبو عبيد القاسم لمعجمه بمقدمة تبين منهجه من حيث الجمع والوضع، وإنما يبدأ المعجم بقوله: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، وبه نستعين، باب تسمية خلق الإنسان ونعوته[2].

ويمكن القول بأن أبا عبيد القاسم قد اعتمد في جمع المادة اللغوية لمعجمه على اللغويين الذين أخذ عنهم العلم في عصره وكذا على فصحاء البدو، والرواة الأعراب، حيث تردد في الكثير من أسماء اللغويين مثل: أبو عمرو الشيباني ت206هـ، والفراء 207هـ، والكسائي ت189هـ، والأصمعي ت216هـ، ويحي بن سعيد الأموي ت191هـ، وابن الأحمر ت194هـ، ومن أسماء الأعراب الرواة وفصحاء العرب يذكر، أبو زياد الكلابي، وأبو الجراح، وأبو علقمة الثقفي، وأبو العالية الرباحي، وأبو فقعس وغيرهم[3].

10. الغريب المصنف ومبدأ الوضع:

قسّم أبو عبيد معجمه "الغريب المصنف" إلى كتب، وكّل كتاب يضم عددًا من الأبواب، لكّل بابا عنوان عام يدلّ على محتواه من الألفاظ، ثم قسم كل كتاب لكل باب عنوان خاص هو فرع من موضوع كل الكتاب.

[1] _ المصدر نفسه، ج1، ص185.

[2] _ المصدر نفسه، ج1، ص263.

[3] _ أبو عبيد: الغريب المصنف، مقدمة المحقق، ج1، ص16 وما بعدها.

غير أن الجزء الأول من المعجم كما حققه رمضان عبد التّواب، يبدأ بكتاب "تسميه خلق الإنسان"[1] ثم بعنوان "نعوت خلق الإنسان"[2]، وثالث وثالث بعنوان: "نعوت دمع العين وغؤورها وضعفها وغير ذلك وهكذا في بقية الأبواب دون ذكر لعنوان الكتاب وهو ما لا يتفق مع مبدأ الوضع في بقية المعجم. وبناء على ذلك فإن النظام الوضعي في المعجم يقوم على تقسيمه إلى "كتب" وتقسيم كل كتاب إلى أبواب كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

11. الغريب المصنف وشرح المعنى:

للمادة اللغوية المستخدمة في بيان معاني الألفاظ صور متنوعة يمكن رصدها وتصنيفها على عدة أقسام[3]، وأما الطرق التي استخدمها أبو عبيد في شرح المعنى في معجمه الغريب المصنف فهي:

أ. الشرح بكلمة مثل: لا نجد في الغريب المصنف الشرح أو التعريف بكلمات مثل "ضد أو خلاف أو نقيض، وإنما نجد كلمة (مثله) للدلالة على ترادف المعنى فمن ذلك:

- «قال أبو زيد: الحذاقيُّ: الفصيح اللسان، البيّن اللهجة والفتيق اللسان»[4].
- «والمسلاقُ: البليغ والذّليق مثله»[5].

ب. الشرح بكلمة واحدة: مثال لذلك:

---

[1] _ أبو عبيد القاسم بن سلام: الغريب المصنف، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1999، ج1، ص263.

[2] _ المصدر نفسه، ج1، ص278.

[3] _ صباح التميمي: دراسات لغوية في تراثنا القديم، دار النجد، عمان، ط1، 2003م، ص198.

[4] _ أبو عبيد: الغريب المصنف، ج1، ص312.

[5] _ أبو عبيد: الغريب المصنف، ج1، ص312-312.

- «المسلاق البليغ»[1].
- «الألفُّ: العييُّ»[2].

ج. الشرح بأكثر من كلمة، وهو كثير في المعجم في ذلك ما نجده في باب الألسنة والكلام: - «الهذر: الكثير الكلام»[3].

- «الهوبُ: الرجل الكثير الكلام»[4].

د. السياق اللغوي:

- «رجل ألخيٌّ: كثير الكلام»[5].
- «امرأة لخواء: كثيرة الكلام»[6].
- «والجؤارُ: الصوت مع استغاثة وتضرع»[7].
- «وقال أبو عمر: الآنح ـ على مثال فاعل ـ الذي إذا سئل الشيء تنحنح، وذلك من البخل»[8].

- **السياق الاجتماعي:**

وهو قليل غير أنه متناثر في المعجم وأبوابه فمن ذلك:

- «والجُبلُ: الناس الكثير، والعُبرُ مثله، والعديَّ: جماعة القوم بلغة هذيل[9].

---

[1] _ أبو عبيد: الغريب المصنف، ج1، ص312.
[2] _ أبو عبيد: الغريب المصنف، ج1، ص313.
[3] _ المصدر نفسه، ج1، ص312.
[4] _ المصدر نفسه، ج1، ص313.
[5] _ المصدر نفسه، ج1، ص312.
[6] _ المصدر نفسه، ج1، ص12.
[7] _ المصدر نفسه، ج1، ص 306.
[8] _ المصدر نفسه، ج1، ص319.
[9] _ أبو عبيد: الغريب المصنف، ج1، ص365.

12. الغريب المصنف ونظرية الحقول الدلالية:

ويقصد بهذه النظرية مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضع تحت لفظ عام يجمعها مثل الكلمات الدالة على الألوان في العربية يمكن أن تقع تحت المصطلح العام "اللون" وهو قطاع متكامل من الناحية اللغوية يعبر عن مجال معين[1]. ويتفق أصحاب هذه النظرية بأنه لا يجوز أن تنتمي الوحدة المعجمية إلى أكثر من حقل أو مجال[2].

وتقوم المعاجم الموضوعية عامة، ومعجم الغريب المصنف خاصة على سرد الألفاظ المتصلة بموضوع واحد، تحت عنوان واحد مثل الحق أوالمجال الدلالي الذي يجمع هذه الألفاظ في إطار عام، غير أنَّ كل لفظ مفرد له دلالته الخاصة في إطار هذا المجال أو الحقل، ولذلك لا نجد ترتيبا أو نظاما للوضع لهذه الألفاظ أيها يأتي أولا وأيها يأتي ثانيا أو غير ذلك ثم يقوم واضع المعجم بشرح المعنى وتفسيره، وذلك على النحو التالي:

. باب الألسنة والكلام[3] .

- قال أبو زيد: الحداقيُّ: الفصيح اللسان، البيّن اللهجة.
- والمسلاق البليغ.
- والذليق مثله.

[1] _ أحمد مختار عمر: علم الدلالة، الكويت 1982 ص79.

[2] _ علي حسن مزيان: الوجيز في علم الدلالة، دار شموع الثقافة، الزاوية، ليبيا، ط1، 2004، ص 75.

[3] _ أبو عبيد القاسم: الغريب المصنف، ج1، ص312 وما بعدها.

- والمسلاق: الخطيب البليغ.
- والمصقع مثله.
- وقال الأصمعي: الحليف اللسان: الحديد اللسان.
- والهذر والمسَهب، والمسهك، والمهتّ جميعا، الكثير الكلام، فإذا كثر كلامه من خرف فهو المفند.
- وقال أبو زيد: والإذراع كثرة الكلام والإفراط فيه، وقد أذرع الرجل: إذا أفرط في الكلام.

13. الغريب المصنف وضبط الألفاظ:

وأنتقل الآن إلى الحديث عن منهج أبي عبيد في ضبط الألفاظ المعجمية إذ إن ضبط بنية المفردة في النص المعجمي ركيزة أساسية في بناء المعجم، وإن الناظر إلى نصوص المعجم سيجد أن المنهج الغالب في الضبط الصوتي هو وضع الحركات على حروف الألفاظ، أي يغلب على هيئة الكلمة ضبطها بالضمة والفتحة والكسرة والسكون حسب الحاجة والضرورة، وشواهد هذا النوع من الضبط في كل كلمة وكل سطر وكل صفحة من المعجم. أما النوع الثاني للضبط فهو ضبط الكلمة يتلوه النص على نوع الحركة كقوله: "قال الأصمعي: إنهجمت عينه: دمعت عينه، بالكسر والفتح"[1] وهو أقل بكثير من النهج السابق. وقد يلجأ إلى ضبط بالمثال أو الوزن نحو قوله: "قال أبو عمرو: الآفق مثال فاعل، الذي قد بلغ الغاية في العلم وغيره من أبواب الخير"[2].

[1] _ أبو عبيد القاسم: الغريب المصنف، ج1، ص 287.

[2] _ أبو عبيد القاسم: الغريب المصنف، ج1، ص317

- "قال أبو زيد: العِفْرِيةُ مثال فِعْلِلَةُ من الدابة: شعر الناصية، ومن الإنسان شعر القفاء"[1]. وقد يلجأ إلى التمييز بين الحروف بالنص عليها كما في قوله:
- "الأصمعي: رجل نباح: شديد الصوت، ونبّاج، بالجيم أيضا"[2].
- "ويقال منه: ذألت أذأل، والدألان بالدال: مشي الذي كأنه يبغي من مشيته من النشاط"[3].
- "الأموي: الطفنشأُ: مقصور مهموز"[4].
- والرّناءُ، ممدود: الصوت، والجمش مثله"[5].

خاتمة:

وما يمكن قوله إن معجم الغريب المصنف هو أول معجم يصل إلينا من هذا النوع، ولم يقدم أبو عبيد لكتابه بمقدمة تبين منهجه والمصادر التي استخدمها في كتابه شأنه في ذلك شأن الكتب المؤلفة في هذه العصور القديمة. ولم يعتمد أبو عبيد في جمع مادة معجمه على البدو من الأعراب

[1] _ المرجع نفسه، ج1، ص 276.
[2] _ أبو عبيد القاسم: الغريب المصنف، ج1، ص 305.
[3] _ المرجع نفسه، ج1، ص 349.
[4] _ المرجع نفسه، ج1، ص 335.
[5] _ المرجع نفسه، ج1، ص 306.

فحسب بل اعتمد كذلك على اللغويين الذين تتلمذا عليهم في عصره، كما يعد كتابه (الغريب المصنف) من أهم الكتب اللغوية القديمة التي انتشرت نصوصها في ثنايا المعاجم العربية المتأخرة، وقل نجد معجما يخلوا من ذكر صاحبه أبي عبيد. فمعاجم الموضوعية منهج متطوّر في تصنيف متن اللغة جمعت فيه الرسائل اللغوية ذات الموضوعات الخاصة في كتاب واحد، وقد نسج على هذا المنوال كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام ت 224هـ الذي لم يقتصر على موضوع واحد كالخيل أو النبات أو الإبل، بل طرق موضوعات متعددة ومتنوعة في أبوابها فقد كان غزير المادة وتنوعها، وبذل جهدا صرفه في تبويب ما جمعه رواية عن اللغويين والأعراب رغم تقدمه زمانيا.

**<u>قائمة المصادر و المراجع:</u>

1. أحمد فرج الربيعي: مناهج معجمات المعاني، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، د ط، 2001، ص 26.
2. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، الكويت 1982 ص79.
3. ابن الأنباري: نزهة الألباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 122.
4. حسن ظاظا: كلام العرب، الإسكندرية، د ط، 1971، ص 148.

5. حلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1997، ص 301.
6. رياض زكي قاسم: المعجم العربي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1987، ص 126.
7. الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، د ت، ص199.
8. السيوطي: المزهر: تحقيق محمد أحمد المولى وآخرين، دار إحياء العلوم العربية، القاهرة، د ت، ج1، ص 186.
9. صبيح التميمي: دراسات لغوية في تراثنا القديم، دار النجد، عمان، ط1، 2003م، ص198.
10. عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية، دار صفاء، عمان، ط1، 2010، ص48.
11. عبد الكريم الرديني: المعجمات العربيّة، دار الهدى، الجزائر، ط2، 2006، ص 138.
12. عبد الكريم مجاهد مرداوي: مناهج التأليف المعجمي عند العرب، دار الثقافة، عمان، ط1، 2010، ص 160.
13. أبو عبيد القاسم بن سلام: الغريب المصنَف، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1989، ج1، ص 67.
14. علي حسن مزيان: الوجيز في علم الدلالة، دار شموع الثقافة، الزاوية، ليبيا، ط1، 2004، ص75.
15. القفطي: إنباه الرواة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1950، ج3، ص12.
16. محمود سليمان ياقوت: معاجم الموضوعات، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د ط، 2002، ص 18.
17. ابن النديم: الفهرست، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص312.

كتاب- اجتهادات لغوية- لتمّام حسّان وكتاب- اللّسانيات العربية -أسئلة المنهج- لمصطفى غلفان- دراسة تقابلية

A book - Linguistic Jurisprudence - by Tammam Hassan And the book - Arabic Linguistics - Questions of the Curriculum - by Mustafa Galfan Cross-study

د.بن التواتي عبد القادر
جامعة عمار ثليجي –الأغواط-الجزائر-
1967amel@live.com

تاريخ الإرسال:2021/08/04--تاريخ القبول: 2021/11/28- تاريخ النشر: :2021/12/26

الملخص:

هذه الدّراسة تتناول كتابين في الدّراسات اللغوية العربية المعاصرة،الأول: (اجتهادات لغوية) لتمّام حسان المعروف على السّاحة العلمية، والثاني: (اللّسانيات العربية أسئلة المنهج) لمصطفى غلفان، وقد استخدمت لفظ(تقابلية)لأنني فعلا أمام فكرين مختلفين، وحتى أمام شخصيتين مختلفتين، فتمام حسان- رحمه الله- شخصية أصيلة مجدّدة، هدفها خدمة العربية لغة القرآن الكريم، والثاني لا نجد سوى اللّسان العربي في كتابه، لكنه غريب الفكر، شاذ الطرح، تهيمن عليه الأفكار الغربية، مما جعله من أكبر دعاة الانسلاخ عن التراث. وهذا ليس تجنّي، وإنما حقائق مقيّدة في كتابه، سنقف عليها- إن شاء الله-.

الكلمات المفتاحية: فكر تمام-فكر غلفان-الاختلاف- التّراث - الحداثة –

Abstract:

This study deals with two books on Arabic linguistic studies, the first - Linguistic Jurisprudence - by Tammam Hassan, who is known on the scene, and the second -Arabic Linguistics Questions in the Curriculum - by Mustafa Galfan. Tammam Hassan - may God have mercy on him - is an authentic, renewed

personality whose goal is to serve Arabic, the language of the Noble Qur'an. The second is that we find only the Arabic language in his book, but it is strange in thought, odd in its proposition, dominated by Western ideas, which made him one of the biggest advocates of alienation from heritage. Rather, facts are restricted in his book, and we will stand on them - God willing.-

Keywords: Tamam thought - Galfan thought - difference - heritage – modernity

مقدمة:

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه،والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللغة وسيلة تبليغ، ومن خلالها نتعرف على الشّخصية نفسيا وفكريا، ويمكن أن نعرف أكثر من خلال كلامها وطرحها، عبر تحليل، وقراءة ما وراء الكلمات، بل قد نصل إلى أبعد من ذلك من مستوى الفهم والإدراك.

اللغة ترجمان الفكر فقط، وليس بالضرورة أن يكون المتكلم بالعربية عربيا، ومن يكتب بالفرنسية فهو فرنسي، فهذا مالك بن نبي كان لا يعرف العربية، ويكتب بالفرنسية، ولكن فكره عربي إسلامي، بل صنفه بعضهم بأنه ثاني مفكر إسلامي بعد المودودي –رحمهم الله جميعا-.

في هذا البحث تناولت كتابين لباحثين هما: تمام حسان وكتابه -اجتهادات لغوية- ومصطفى غلفان وكتابه – اللسانيات العربية- أسئلة المنهج، وقد توصل البحث إلى حقائق مثيرة جدا، خاصة في ما يتعلق بغلفان، وما يطرحه من أفكار، وفي ظل تهافت الطلبة على قراءة كتبه، وهذا إشكال كبير، فهم لا يدركون ما لهذا الرجل من أفكار مشبوهة، وخطورة ما يطرحه من أفكار واهية لا أساس لها ولا محتوى.

- أهداف الدراسة.

1-التعريف بالكاتبين، ومجال تخصصهما الدّقيق، وطبيعة شخصية كل واحد منهما.

2- التعريف بالكتابين، وتبيين خلفية غلفان ومرجعيته الفكرية.من خلال التّصور العام، والأبعاد الفكرية.

3-الاتجاه العام لتمّام حسان، ومنطلقاته الفكرية، وأهدافه العلمية.

- إشكالية الدراسة.

تتلخص إشكالية البحث من خلال طرح مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها:

1-رؤية تمام حسان للبحث اللغوي القديم،وتعامله مع المدوّنة، ورؤيته للتجديد اللغوي في ظل التطورات اللغوية العلمية الحديثة، والاتجاه الغالب الذي سار عليه في أبحاثه اللغوية.

2-رؤية غلفان للبحث اللغوي القديم وموقفه من المدونة، واللغة العربية، وتصوره لنشأة علم لسان عربي حديث.

-حدود الدراسة.

هذا البحث سيكون حول كتابين - اجتهادات لغوية- لتمّام حسّان- اللّسانيات العربية أسئلة المنهج- لمصطفى غلفان-دراسة تقابلية، في كل الجوانب الواردة في الكتابين.

- الدراسات السابقة.

حسب علمي ليس هناك دراسة سابقة، فلم أعثر على أي دراسة تناولت التقابل بين تمام حسان ومصطفى غلفان، ذلك أن الفكرة راودتني من خلال الفروق العجيبة التي وجدتها من مطالعتي للكتابين، والغلو الرّهيب الذي وجدته في كتاب غلفان، وتهجمه على الدّراسات القديمة والحديثة،

وأما ما وجدته في كتاب تمام من تواضع العلماء، ونزاهتهم خاصة مع التراث اللغوي وعلمائه الأجلاء.

- منهج الدراسة.

سنعتمد في البحث على المنهجين الآتيين:

1-المنهج التقابلي: حيث نعرض على محتوى الكتابين ونصف أطرافهما كما نجدها.

2-المنهج الاستقرائي:وذلك باستقراء التفاصيل،لأخذ صورة عامة حول الكتابين، ومن خلال تتبع الجزئيات لبناء الكليات.

- خطة البحث.

يشتمل البحث على: **مقدمة ومبحثين، وخاتمة**

مقدمة:أهمية البحث و أسئلة والدراسات السّابقة.

المبحث الأول: المنهج العام لتمام حسان في كتابه –أبحاث لغوية-

-المطلب الأول: التعريف بتمام حسان

- المطلب الثاني التعريف بكتابه أبحاث لغوية

-المطلب الثالث الاتجاه العام لكتاب لتمام حسان والقضايا اللغوية المطروحة، ومواقفه من التراث، وتصوره لمفهوم الحداثة، وما يطرحه من بديل لحل مشكلات اللغة حسب رأيه.

-المطلب الرابع خصائص الكتاب

المبحث الثاني: الاتجاه العام لمصطفى غلفان في كتابه: اللّسانيات العربية أسئلة في المنهج

-المطلب الأول: التعريف بمصطفى غلفان

- المطلب الثاني التعريف بكتابه اللّسانيات العربية - أسئلة المنهج-

-**المطلب الثالث** الاتجاه العام، والقضايا اللغوية المطروحة، ومواقفه من التراث، وتصوره لمفهوم الحداثة، وما يطرحه من بديل لحل مشكلات اللغة حسب رأيه.

-**المطلب الرابع** طبيعة مشروعه اللغوي، وخلفياته، والبحث عن الهدف الذي يريد الوصول إليه.

- الخاتمة والنتائج والتوصيات.

المبحث الأول:

المنهج العام لتمّام حسان في كتابه –أبحاث لغوية-

المطلب الأول:التعريف بتمام حسان.

التعريف بتمام حسان هو نوع من الاجترار، لأن الأستاذ الدكتور تمام غني عن التّعريف، فقد عرّفه الباحثون كثيرا في أبحاثهم وكتبهم ودراساتهم عن نظريته المعروفة (نظرية القرائن)، وإنما أردت بالتّعريف أن أذكّر بالنبع الصافي الذي انطلق منه، فقد كان باحثا متميزا قلّ ما تلد هذه الأمة أمثاله.

ولد بقرية الكرنك بمحافظة قنا بصعيد مصر، أتمَّ حفظ القرآن الكريم سنة 1929م، ثم غادر قريته ليلتحق بمعهد القاهرة الأزهري عام 1930م، ليحصل على الثانوية الأزهرية عام 1935م.وبعدها التحق بكلية دار العلوم عام1939 م وحصل على دبلوم دار العلوم عام1943 م ثم إجازة التدريس عام1945 م، ولم يكد يبدأ الدكتور تمام حسان حياته العلمية معلمًا للغة العربية بمدرسة النقراشي النموذجية عام1945 م، حتى حصل على بعثة علمية إلى جامعة لندن عام1946 م، لينال درجة الماجستير في لهجة الكرنك من صعيد مصر، ثم يحصل على الدكتوراه في لهجة عدن.وعقب عودة الدكتور تمام من رحلته العلمية عُين مدرسًا

بكلية دار العلوم كما انتدب مستشارًا ثقافيًّا للجمهورية العربية المتحدة في العاصمة النيجيرية لاجوس عام1961 م .وحين عاد إلى مصر عام1965 م، شغل منصبي رئيس القسم ووكيل الكلية قبل أن يتولى عمادتها عام1972 م.

أسس تمام حسان "الجمعية اللغوية المصرية" عام1972 م، وكان أول رئيس لها وأنشأ أول قسم للدراسات اللغوية بجامعة الخرطوم في السودان، كما أسس بجامعة أم القرى قسم التخصص اللغوي والتربوي وتولى أمانة اللجنة العلمية الدائمة للغة العربية بالمجلس الأعلى للجامعات المصرية وانتخب عضوًا بمجمع اللغة العربية عام1980 م .أشرف الدكتور تمام على العديد من الرسالات الجامعية في مصر والدول العربية[1].

على مدى هذه السنوات الطويلة لم ينقطع عطاؤه العلمي من تأليفٍ وترجمةٍ إضافةً إلى عشرات المقالات والبحوث التي نشرت في الدوريات العربية. وهنا قائمة بالكتب التي ألّفها وترجمها:

1-اللغة العربية معناها ومبناها.

2- الأصول.

3- مناهج البحث في اللغة.

4- اللغة بين المعيارية والوصفية.

5- الخلاصة النحوية.

6- البيان في روائع القرآن - جزئين.

7- التمهيد لاكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها.

8- مقالات في اللغة والأدب - جزئين.

9- مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب (مترجم)

[1]- من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

10- الفكر العربي ومكانته في التاريخ (مترجم)
11- اللغة في المجتمع (مترجم)
12- أثر العلم في المجتمع (مترجم)
13- النص والخطاب والإجراء (مترجم)
14- خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم (2006)
15- اجتهادات لغوية (2007)
16- مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن (2010).
17- الفكر اللغوي الجديد (2011)
18- حصاد السنين- من حقول العربية (2011)[1]

اعتمدت على وكيبيديا الموسوعة الحرة في نقل هذه النبذة عن حياة العلامة الباحث المتميز تمام حسان- رحمه الله-ومن خلال القراءة في حياة هذا الرجل أنه نشأ في بيئة صافية محافظة وهي صعيد مصر، ونحن نعلم أن الصعيد كان منبعا للكثير من القامات المتخصصة في اللغة العربية، أو الدعوة الإسلامية من أمثال المراغي المفسر، والمنشاوي القارئ وغيرهم، حفظ تمام حسان القرآن الكريم، ثم سافر القاهرة، لإتمام دراسته ومشاريعه العلمية، في الأزهر، المنارة العلمية التي تخرج منها أغلب علماء الأمة .ومن آثاره الأبحاث القيّمة التي ذكرت، تجعلنا نقف إجلالا لهذا الباحث المتميز.

-المطلب الثاني: التعريف بكتابه أبحاث لغوية

يأتي هذا الكتاب في المرتبة 17حسب الترتيب أعلاه، وبالرجوع إلى النسخة المطبوعة نجد البطاقة التعريفية التالية:كتاب اجتهادات لغوية، المؤلف: تمام حسان: عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى السنة2007م.واشتمل

[1]- من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

الكتاب على 399 صفحة من المادة العلمية، كما نجد إشارة في آخر صفحة تناولت مايلي:...بعض الموضوعات التي اشتمل عليها الكتاب سبق نشره في المجلات العلمية في مصر وخارجها، والبعض الآخر جديد لم يسبق نشره[1] ومن هنا نعتقد أن كتاب اجتهادات لغوية هو مجموعة مقالات كتبها تمام حسان ونشرها في مجلات علمية مختلفة، كما أنه أضاف بعض الأبحاث وجمعها في كتابه هذا.

الكتاب اجتهادات لغوية به مقدمة و ثلاثة أبواب:

1-مقدمة:

2- الباب الأول:

3-الباب الثاني:

4-الباب الثالث

-المطلب الثالث الاتجاه العام لتمام حسان:

دراسته للقرآن منذ البداية كانت فاتحة خير، وكانت سببًا في الاجتهاد في كل أعماله اللغوية، وهذا يؤكده في كل مؤلفاته وفي كتابه موضوع الدراسة يقول: ...أما أنه اجتهادات فلأنه في مجمله اتخذ القرآن الكريم مصدرا لشواهده، بل جعله في الأغلب الأعم موضوعا لدراسته[2]، وهذا بيان على أن تمام حسان ينطلق مما انطلق منه علماؤنا كأصل أول من أصولها وهو القرآن الكريم باعتبارها أفصح نص يعتمد عليه.

-منهج النحاة العرب:

[1]- تمام حسان –اجتهادات لغوية – عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى السنة2007م الصفحة الأخيرة الناشر

[2]- تمام حسان –اجتهادات لغوية – عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى السنة2007م ص9

انطلق تمام في كتابه اجتهادات من أول عنصر وهو منهج النحاة العرب، وتناول في بداية حديثه عن سبب نشأة علم النحو، مبينا الدافع الأساس، وهو اللّحن الذي انتشر، لذلك كانت الضوابط كلها معيارية كما وصفها في قوله:أو بعبارة أخرى أن يكون في عمومه نحوا معياريا لا وصفيا[1]، ثم استشهد بعجز بيت من ألفية بن مالك: (فما أبيح أفعل ودع ما لم يبح).

1-النّحو العلمي والنحو المعياري:

تحدث تمام حسان في كتابه عن النحو العلمي والنحو التعليمي، وقلائل أولئك الذين رصدوا هذين النوعين من المناهج، في تلك الفترة الزمنية، فلم أعثر على من تحدث في النحو العلمي والنحو التعليمي سوى عبد الرحمن الحاج صالح، وهنا مع تمام حسان، إلا أن هناك اختلافا في التصور، فالحاج صالح تحدث عن النحو العلمي في التراث مع الخليل وسيبويه، ونحو تعليمي ظهر مع نحاة القرن الرابع الهجري، وتلته المنظومات كألفية بن مالك وغيرها.

أما تمام حسان فتحدث على النحو العلمي والتعليمي عموما، وشرح مجال كل واحد منهما فقال عن النحو التعليمي: يعطي القواعد ويحتم مراعاتها، والنحو العلمي يستقرئ الأمثلة ويستنبط منها القوانين، فالأول قياسي والثاني استقرائي، والأول معياري، والثاني وصفي[2] ولكنه يبيّن قيمة النحو المعياري ومدى أهميته في التعليم بالنسبة للناشئة أوالأطفال يقول: ومن المتفق عليه أن المعيارية تؤدي أجل الأدوار في حجرة الدراسة وفي اكتساب الطفل للغة في أسرته[3]، وأشار إلى الإشكالية التي

[1]- المرجع السابق –ص13

[2]- تمام حسان –اجتهادات لغوية – عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى السنة2007م ص13

[3]- المرجع السابق ص13

يطرحها النحو المعياري أمام التطور اللغوي الحتمي، إذ لا يمكن أن تبقى الضوابط المعيارية الثابتة غير قابلة للتطور أمام تطور اجتماعي ولغوي محتوم وضروري يقول: فالقاعدة لدى المعيارية غاية في نفسها وقانون ذو سلطة توجب وتجيز وتمنع، والناس أمام هذه السلطة رعايا يطيعون[1]، وبيّن بأدلة عقلية منطقية تأثير المعيارية وأثرها في تجميد أي حركة تطورية.

2- اللهجات العربية:

معروف أن اللغة العربية هي مجموعة من اللهجات، جمعت من قبائل مختلفة، وهذا ما أدى إلى إشكال كبير ربما كان سببا في تعدد الآراء النحوية، واختلاف القواعد، ولذى يقترح تمام حسان أن تكون هناك لهجة واحدة، فلا يمكن الاستنباط من لهجات مختلفة عن بعضها في الكثير من الخصائص، فكل لهجة لها ضوابطها الخاصة بها يقول: ونحب أن أضيف هنا أن موضوع الدراسة ينبغي أن يكون جهازا لغويا واحدان فلا ينبغي أن يدرس الباحث لهجات متعددة من لغة واحدة... وكل لهجة فلابد لها من دراسة مستقلة يحتمها اختلافها عن أخواتها اختلافا لا يخضعهن به جميعا لقاعدة واحدة أبدا[2].

-تطور اللغة: قد يكون تمام حسان من الأوائل الذين أشاروا إلى هذا الأمر الهام وهو تطور اللغة فاللغة عبر مراحلها اختلفت وتغيرت حسب النموذج الذي وضعه:

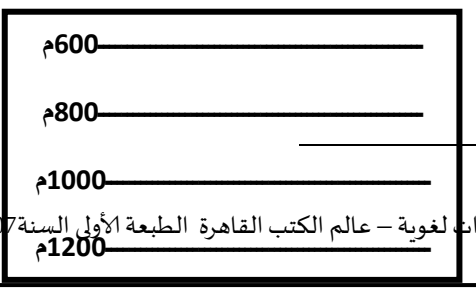

[1]- المرجع السابق ص14

[2]- تمام حسان –اجتهادات لغوية – عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى السنة2007م ص15

(شكل رقم (1))

والدراسة تكون منفصلة، خاصة بكل لهجة، بل يجعلها شرطا أساسيا: فكل مرحلة من المراحل يستقل بها باحث يعتبرها متميزة في خصائصها عن المرحلة السابقة والمرحلة اللاحقة، ولا يخلط بين مرحلة وأخرى عن نفس اللهجة ولا يعبر عنهما معا بنفس القاعدة، وبهذا التحديد الزمني الاجتماعي لموضوع الدراسة يصبح الباحث بعد ذلك على الطريق السليم المؤدي إلى نجاح البحث[1].

ثم يضع شرطين أساسين هما:

-أن يتناول لهجة واحدة من لغة ما،فلا يتناول اللغة كلها مع اختلاف لهجاتها.

-أن يتخصص في مرحلة زمنية واحدة من مرحل اللهجة[2]

انتقل تمام إلى سرد بداية الجمع اللغوي، وتحدث عن أبي الأسود الدؤلي، ثم القبائل الذين أُخذ عنهم، وقد ركز تمام حسان على الجامعين بأنهم لم يلزموا قبيلة واحدة، ودوّنوا الفصيح من كلامها، أوكما اقترح الفصحى كما تبدو في القرآن الكريم يقول:كان على النحاة أن يختاروا الفصحى على لسان قبيلة واحدة بعينها لتكون موضوع الدراسة عندهم، أو كان عليهم أن يقتصروا على الفصحى كما تبدو في القرآن أسمى نص عربي من جميع

[1]- تمام حسان –اجتهادات لغوية – عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى السنة2007م، ص16

[2]- المرجع السابق ص16

وجوهه[1] ثم يواصل تمام حسان مناقشته للنحاة العرب، على ضوء مبادئ المنهج العلمي للنظر إلى أي حد كان النحاة متوافقين معه، وقد نقدهم في الكثير من المواقف خاصة تلك المتعلقة بالتطور اللغوي، ودمجهم للفترة الزمنية الجاهلية مع الفترة الزمنية الإسلامية، في حين أن التطور الطبيعي للغة كان حاصلا، ولم ينتبه النحاة إلى ذلك يقول: وعجيب أن يفطن هؤلاء النحاة الأقدمون والنقاد الذين كانوا في عصرهم إلى الفارق الواضح بين خصائص الأدب الجاهلي والأدب الإسلامي، ثم لا يفطن هؤلاء ولا أولئك إلى الفارق بين خصائص اللغة في العصر الجاهلي وخصائص اللغة في العصر الإسلامي، ولو قد فعلوا لوجدوا من ذلك ما يبرر الفصل في دراسة النحو بين عصر وعصر[2]وتحدث عن مفهوم السليقة والخليقة، وكيف أنهم لم يفرقوا بينهما، كما تناول الرواية وغيرها، وقدّم مجموعة من النماذج التي تأكد الأخطاء التي وقع فيها النحاة.والتي خالفت المنهج العلمي في الجمع والتقصي – حسب رأيه- .

وفي الباب الثاني نجد قراءة خاصة على ضوء نظريته على النصوص القرآنية، مع بعض التعليقات لما ذهب إليه النحاة العرب، كما أنه يتوافق في الكثير من الحالات مع ابن جني وسيبويه خاصة، ففي حديثه عن المناسبة الذهنية فإنه يرجع إلى سيبويه يقول:وأما المناسبة الذهنية فهي سبب فيما يسميه سيبويه(المستقيم أو المحال)[3]كما تحدث عن ارتجال المصطلحات إذ لا يلزم فيه أن يكون المصطلح من مفردات المعجم[4]

[1]- تمام حسان –اجتهادات لغوية – عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى السنة2007م ص20

[2]- المرجع السابق ص20

[3]- تمام حسان –اجتهادات لغوية – عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى السنة2007م ص50

[4]- المرجع السابق ص123

-الثوابت والمتغيرات في العربية.

في هذا العنصر ينطلق تمام حسان من منطق رياضي، ويقدم نموذجا واضحا يمكن شرحه كالآت(3+3=6)و (3*3=9) فيقول أنها حقيقة ثابتة والمتغير هو العناصر 3-6-9 أما عنصر الإيجاب أو السلب أو التساوي فإنه ثابت لا يتغير، من هذا يرى أن للغة ثابت ومتغير، وكيف حلل النحاة هذا الأمر على مستويات ثلاث هي:

- علاقة اللفظ باللفظ
- علاقة اللفظ بالمعنى
- علاقة اللفظ بالاستعمال[1]

ويقدم نموذجا وجيها للمتغير والثوابت فيرى:

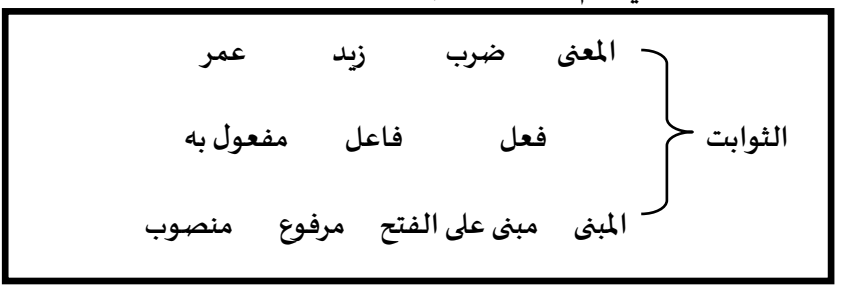

(شكل رقم2)

فالتحليل اللغوي كله وصول للثوابت من خلال المتغيرات.[2]

-الدراسات الصوتية:

ويقدم طائفة من الآراء ذكر منها:

-المخرج

- طريقة النطق(الشدة والرخاوة)...الخ

-الجهر والهمس

[1]- المرجع السابق ص129-130

[2]- المرجع السابق، ص131

- الترقيق والتفخيم

-الطول والقصر

-الصحة والعلة

وغيرها من الظواهر الصوتية التي نجدها في الدرس الصوتي الذي برع فيه العلماء المسلمون، وبلغوا فيه مبلغا عظيما يقول هـ-روبينز:ولقد وضع قواعد و العرب نظاما صوتيا لم يسبقوا إليه[1].

الباب الثاني من الكتاب وتناول فيه جانب المعنى، وتناول العلاقة بين المتكلم والمتلقي، ذلك أن الاتصال يتم بواسطة الالقاء والمتلقي ويسعى المتلقي دائما إلى إدراك مقاصد المتلقي[2] ويشرح تمام دلالات المعنى، وأقسامه من خلال التقسيم الآتي:

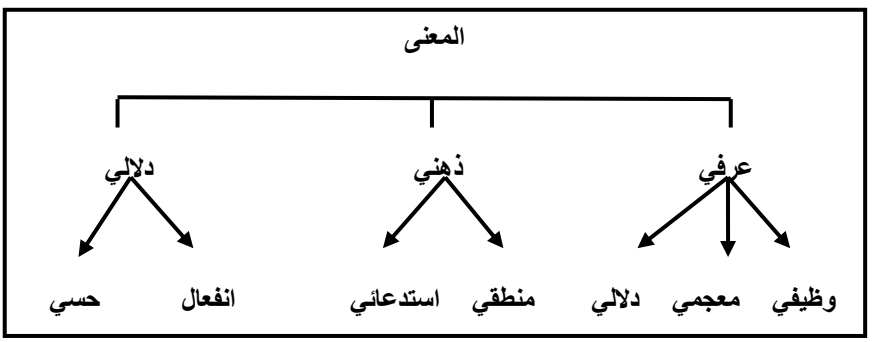

(شكل رقم3)[3]

ويتم تمام حسان رايه من اخلال موقف النحاة بقوله:ولاحظ النحاة العرب أن بعض الألفاظ لا يستعمل إلا مقترنا بلفظ آخر.... [4] و يواصل

[1]- هـ-روبينز موجز تاريخ علم اللغة ص

[2]- تمام حسان –اجتهادات لغوية –ص149

[3]- تمام حسان –اجتهادات لغوية، ص151

[4]- المرجع نفسه، ص151

شرح المعاني العرفية والذهنية والدلالية والتفرعات التي نجدها في الشكل رقم 3، وبتقديم شواهد من القرآن الكريم، والشعر العربي، ففي المعنى الذهني يقدم تمام نموذجا من قوله تعالى:(**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**)الأنبياء 22 فهذه الجملة يمكن أن يبنى عليها قياس شرطي على النحو التالي:

- لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
- ولكنهما لم تفسدا
- إذن ليس فيهما آلهة غير الله

جملة القول أن المعنى الذهني في الاتصال اللغوي ليس نتيجة قياس منطقي صوري، وإنما هو نتيجة علاقات ذهنية متنوعة تربط المدركات والمفاهيم معا بواسطة التداعي الذهني[1]وهنا نجد أن هناك مشاركة بين تمام والنحاة العرب تأييدا ومخالفة.ويستمر في تحليله لبعض الآيات القرآنية والشواهد حتى الصفحة320.

وهنا نجد العنوان لآتي:أدلة من القرآن الكريم وهو عبارة عن تحقيقات صوتية بين أراء القدامى وأراء بعض المحدثين حول صفات بعض الأصوات، ونأخذ مثالا واحدا وهو صوت(الطاء) يقول:إذا اطلعت على ما يكتبه المحدثون في وصت صوت الطاء وجدتهم يرونه مهموسا.....أما إذا قرأت آراء الأقدمين من علماء التراث فسوف ترى إطار نظري آخر[2] ويستشهد برأي لابن جني من كتابه سر صناعة الإعراب. والمتصفح لباقي صفحات الكتاب يجد العشرات من الآيات القرآنية الكريمة، وكأنك تبحث في تفسير من التفاسير المعروفة،ولو أنني اقترح إضافة تمام حسان المفسر لكتاب الله.

[1]- المرجع نفسه، ص168

[2]- تمام حسان –اجتهادات لغوية ، ص320

وفي أواخر الكتاب نجد موضوعات أخرى وهي مقالات كتبها الباحث منها، **المعجم أهو نظام أم رصيد من الألفاظ**، ومقال آخر **الرجال قوامون على النساء**، و **أيام الله في القرآن الكريم** وهو في الرد على بابا الفاتيكان في تهجمه على الإسلام، تناول فيه تحليلا لغويا لبعض الآيات تثبت افتراء البابا، وصدق كلام الله – عزّ وجل-

أما الباب الأخير فتناول فيه تمام حسان مقالين ترجمهما الأول:لسانيات النص (Texts de linguistic) والآخر:نظرية سيميوطيقية للنصوص(Floyd Merrel) و بهما ختم تمام بحثه القيّم، الذي استمده من علمائنا وأضفى عليه تصورات هامة تستحق الدراسة.

المبحث الثاني: الاتجاه العام لمصطفى غلفان في كتابه: اللّسانيات العربية - أسئلة المنهج-

-المطلب الأول: التعريف بمصطفى غلفان

الدكتور مصطفى غلفان؛ لساني مغربي من مواليد 9 أيار/مايو 1952 بالدار البيضاء.حاصل على دكتوراه السلك الثالث في اللسانيات العامة من جامعة باريس 7، حزيران/يونيو 1980.حاصل على دكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة الحسن الثاني، عين الشق- الدار البيضاء، 1991.أستاذ التعليم العالي سابقاً بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش من ثم الدارالبيضاء – عين الشق.

عضو الهيئة الاستشارية بمجلة الدراسات المعجمية، الرباط، المغرب.

عضو سابق بالعديد من مجموعات البحث والتكوين بكليات الآداب المغربية.

رئيس شعبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب، الدار البيضاء- عين الشق ما بين 1990 و 1992.

نشر ما يزيد على عشرين دراسة علمية في مختلف المجالات اللغوية: نحو ولسانيات عامة ولسانيات عربية ومصطلح ومنها:

–اللسانيات العربية الحديثة أسئلة المنهج، عمان، دار ورد للنشر والتوزيع، 2011 (منشورات فريق البحث في اللغة والتواصل والحجاج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر، أكادير.

–في اللسانيات العامة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010.

–اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات في النشأة والتكوين، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2013.

–اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، منشورات كلية الآداب، عين الشق- الدار البيضاء، المغرب، 1998.

–النحو التوليدي من النموذج المعيار إلى نموذج البرنامج الأدنى: مفاهيم وأمثلة، بالمشاركة، إربد، عالم الكتب الحديث، 2011. له العديد من المطبوعات المركونة بخزانة كلية الآداب، عين الشق- الدار البيضاء، المغرب[1].

- المطلب الثاني التعريف بكتابه اللّسانيات العربية- أسئلة المنهج-

هذا الكتاب مطبوع عن دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، السنة 2013، الإشراف الفني على الطبعة محمد الشرقاوي رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية 2011/9/3573(ردمك)

ISBN978-9957-522-78-0

[1]- /من موقع وكيبيديا .

و الكتاب في 267 صفحة مادة علمية،يضاف لها الفهرس ليصل إلى 278 صفحة.أما تقسيم موضوعاته فهي كالآتي:

مقدمة 7
الفصل الأول: مدخل تمهيدي 11
الفصل الثاني: اللسانيات العربية: رؤية نقدية منهجية 39
الفصل الثالث: حفريات الفرص الضائعة: 67
الفصل الرابع: أزمة اللسانيات العربية من خلال بعض الكتابات العربية 91
الفصل الخامس: النحو واللسانيات: أي علاقة؟ 131
الفصل السادس: من التراث اللغوي لإلى اللسانيات 183
الفصل السابع: الجرجاني في كتابات اللغويين العرب: تعدد القراءات والرجل واحد 225
الفصل الثامن: تدريس اللسانيات باللغة العربية 251
خاتمة: 265
بيبليوغرافيا 269[1]

-المطلب الثالث: الاتجاه العام، والقضايا اللغوية المطروحة، ومواقفه من التراث، وتصوّره لمفهوم الحداثة، وما يطرحه من بديل لحل مشكلات اللغة.

- مقدمة الكتاب:

طرح غلفان في بداية مقدمة كتابه سؤالين يتعلقان بالدراسات اللسانية العربية الحديثة فأما السؤال الأول فيتعلق بالمنهج الذي اختاره الباحثون

[1]- مصطفى غلفان اللسانيات العربية –أسئلة المنهج- دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع- ط1، 2013م ص5.

في اللسانيات العربية المحدثين، ومستوى وطبيعة هذا المنهج مقارنه بالمنهج اللساني في الدراسات الغربية المتداول حاليا.

أما السؤال الثاني فيقول فيه هل تساءل الباحثون المحدثون العرب عن القيمة المنهجية لما يقومون به مقارنة مع ما هو موجود من كتابات لسانية تتعلق بلغات مثل الانجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية أو الألمانية أو اليابانية؟[1]

ثم ينتقل إلى نقد كم هائل من الدراسات على مستوى ما ينقل في كتابات هؤلاء سواء أكانت كتب أم مقالات أم حوارات، والمشكل حسب رأيه يتمثل بعدها عن روح التحليل اللساني بمفهومه العلمي الدقيق.ويركز غلفان على جانبين يرى أنهما سبب فيما تعانيه الدراسات اللسانية هما المادة أو اللغة المدروسة، والمنهج المقترح لدراستها، ثم انتقل إلى طرح مهم وهو كيفية الوصول إلى تحقيق لسانيات عربية أو علم لسان عربي بمستوى علمي لائق، يرى أن ذلك مرهون كما يقول: بمدى قدرة الأبحاث اللسانية العربية على التعامل مع اللغة العربية تعاملا مباشرا[2] وأمام هذا الطرح الغامض اطرح سؤال: وكيف كان الباحثون يتعاملون مع اللغة العربية، هل استخدموا وسائط أم ماذا؟أم هناك بعد آخر لم أتمكن من فهمه، ولو أن المفهوم واضح لا يحتاج إلى أكثر من قراءة.

ثم انتقل غلفان إلى التراث اللغوي العربي، وحكم عليه حكما نهائيا، بأنه لم يعد يشكل أهمية مطلقا، وكأني به يريد أن يقول:(عفا عنه الزمن أو تجاوزه)، والنّص واضح يقول فيه:أما الالتفاف حول التراث اللغوي العربي وتأويله فيما يعرف بإعادة قراءة التراث، أو إعادة تشكيله، فلم يعد له في

[1]- المرجع نفسه - ص7 من المقدمة.

[2]- مصطفى غلفان اللسانيات العربية –أسئلة المنهج- دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع- ط1، 2013م، ص8 من المقدمة

خضم التحولات الفكرية والاجتماعية العالمية والعربية الراهنة ذاك الوقع وتلك الأولوية والأهمية التي كان يحظى بها سابقا في الفكر العربي الحديث[1] وإذا كانت مسألة إعادة قراءة التراث اللغوي ضرورةً تاريخيةً أو حضاريةً في فترة ما من تاريخ الفكر العربي، فإنه لا ينبغي أن تتحول هذه الضرورة إلى حتمية تاريخية ملازمة له مما يحول دون قيام لسانيات العربية بالمعنى العلمي الدقيق فضلا على أن مشروع اهتمام اللسانيات العربية بالتراث اللغوي القديم قد وصل في–اعتقادنا إلى الطريق المسدود..[2] وهو هنا يشير إلى المجهودات التي كانت من بعض الباحثين عبده الراجحي وعبد السلام المسدي، وكانت فاشلة تماما بقوله:ويبدو أن المشروع الحضاري الذي راهن عليه، منذ ما يزيد عن ثلاثة قرون وبحماسة قلّ نظيرها وبصدق وإخلاص أيضا، بعض اللسانيين(عبده الراجحي وعبد السلام المسدي مثلا)بالتأكيد على أهمية هذا النوع من العمل اللساني ودوره لم تكن له نتائج علمية تذكر أو أية مردودية نظرية أو منهجية سواء بالنسبة للغة العربية أم بالنسبة للتراث العربي، أم اللسانيات، بقدر ما رسّخ بعمق تشبث الثقافة العربية الحديثة بالماضي جملة وتفصيلا وأدى إلى رفض ضمني لكل مظاهر التجديد والحداثة المنهجية التي حملتها اللسانيات بين طياتها في مقاربة اللغة البشرية والألسن الطبيعية[3]وهنا أود القول أن الحكم يكون بعد دراسة، فهل حكم غلفان على عبده الراجحي وعبد السلام المسدي بالفشل بناء على دراسة، أم أنه حكم عشوائي، نابع من كراهة لرائحة التراث اللغوي المبثوث في أعمالهما، توحي بالفشل أو كما

[1]- المرجع نفسه ص8 من المقدمة.

[2] - المرجع نفسه ص8.

[3]- مصطفى غلفان اللسانيات العربية –أسئلة المنهج- دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع- ط1، 2013م، ص8-9.

قال هو طريق مسدود:أن مشروع اهتمام اللسانيات العربية بالتراث اللغوي القديم قد وصل في–اعتقادنا إلى الطريق المسدود...[1].

-شروط قيام علم اللسان عربي علمي:

مصطفى غلفان يسعى لتحقيق بداية جديدة للدراسات اللسانية العربية بشروطه وهي:

1-قطع أي صلة بالتراث اللغوي القديم .

2-الوقوف على المادة (اللغة) وهنا لا أعرف ماهي اللغة المقصودة عند غلفان هل هي اللغة العربية الفصيحة وفق الضوابط والقوانين التي وضعها علماؤنا القدامى؟ أم اللهجات المحلية الخاصة بكل بلد؟، ومنه يجتهد لسانيو هذه البلاد في وضع علم لسان حديث علمي، واعتقد أن هذا هو المقصود.

3-المنهج العلمي اللساني الحديث وإسقاطه على اللغة العربية، وهكذا.... ومنه نصل إلى العالمية كما في فرنسا واسبانيا وألمانيا وانجلتر...والمنهج الذي يقترحه هو المنهج السوسيري طبعا.دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها بقوله:.. تتمثل في مقاربة موضوع اللسانيات المحدد في دراسة لسان معيّن (اللسان la langue بالمفهوم السوسيري)[2]

أما دراسة التراث اللغوي، فإن كان ضروريا فلتكن على هامش اللسانيات وليس في صلبها، لكونه من الناحية المبدئية، لا يندرج مباشرة ضمن مهام اللسانيات ، وإن تحرينا الدقة قلنا أنه لا يدخل في موضوعها [3]

[1] - المرجع نفسه ص8.

[2]- المرجع السابق، ص.9

[3]- المرجع السابق، ص8.

يبدو أن أفكار غلفان وأهدافه العلمية، قد ظهرت في المقدمة، مما قد يغني عن مواصلة الدراسة.ولكن سنستمر في استخراج المذهبات والنفائس من هذا المجهود العلمي !!!.

ثم انتقل ثانية إلى الدراسات اللغوية الحديثة باختصار طبعا، وحكم عليها حكما قاسيا جدا، وقد استخدم لفظا ما. كنت أتمنى أن يصدر منه، ولا يليق استخدمه في الأبحاث العلمية، ولا بين الباحثين بل أرى أن من أخلاقيات البحث العلمي وتجنب هذا النوع من الألفاظ: فقد حكم غلفان على المجهودات العلمية التي قدمها الباحثون المحدثون بأنها (عبث) وهذا نص كلامه من المقدمة يقول فيه:وعسى أن نلفت الانتباه إلى الوضع العبثي الذي تعيشه اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة[1].

- الفصل الأول: مدخل تمهيدي.

تناول غلفان في المدخل التمهيدي ، ما تحتاجه اللغة العربية من متطلبات وهي:

- توضيح طبيعة التحليل اللساني.
- بسط المنطلقات النظرية والمنهجية الجوهرية في اللسانيات.
- رصد ما يجعل من معالجة لغة معينة أو ظواهر منها معالجة تندرج فعلا ضمن التحليل اللساني بمعناه العلمي الدقيق وليس في إطار النحو القديم أو فقه اللغة أو مجرد كلام انطباعي لا يمت بصلة إلى اللسانيات[2]ثم طرح

[1]- المرجع السابق، ص10.

[2]- المرجع السابق، ص12.

مجموعة من التساؤلات، التي يجب أن يطرحها أي باحث لساني كنوع من الحدود للدراسة وهي:

1-ما هي هذه اللسانيات(يا ترى التي أصبح يتحدث عنها الكل، ويستشهد بها الكل، ويشحن مراجعه ببعض منها؟

2-ما هي هذه اللسانيات كعلم وكنشاط تحليلي وكفلسفة وكصورنة؟... إلخ.

3-كيف نستطيع تمثلها؟

4-ما علاقتها بالثقافة؟

5- ما علاقتها بالعلوم الأخرى الدقيقة وغير الدقيقة؟

6-ما النشاط اللساني بالمقارنة مع الأنشطة الأخرى؟

هذه الأسئلة تقحمنا مجال التحليل اللساني العلمي، ولابد من أرضية فكرية ونظرية ينطلق منها ليفسر الظواهر اللغوية في ضوئها سواء إلى اللسانيات العامة، أو في صورته التطبيقية علة اللغة العربية أي لسانيات عربية.

مشكلة العلم أو إدعاء العلمية، في الخطاب اللساني المعاصر، يطرحها غلفان مشيرا إلى تخبط الباحثين المحدثين في ذلك يقول:فإن خطابنا اللساني الحديث المحمّل بهذا النوع من التصورات الخاطئة للعلم وللمنهج وللنظرية والتطبيق والمواقف الفكرية الملتبسة ليس بإمكانه أن يقدم شيئا جديدا في دراسة اللغة العربية من منظور لساني، أو أن يسهم كثيرا في نشر وعي لساني حداثي يتجاوز ماهو معروف في الثقافة العربية منذ مئات السنين[1].

- نشأة اللسانيات عند غلفان.

[1]- المرجع السابق، ص13.

اللسانيات علم حديث، وحتى أن لفظة اللسانيات linguistique حديثة العهد، أن اللسانيات نشأت في القرن الخامس قبل الميلاد أو مع بوب سنة 1816م أو مع سوسير سنة 1916م أو مع تروبتسكوي سنة 1926م أو مع أو مع تشومسكي سنة 1956م[1] وأجد غرابة في هذا القول فإن مصطلح علم اللسان واللسانيات هي مصطلحات تراثية، وأول من تناولها هم علماؤنا فمصطلح علم اللسان وضعه أبو نصر الفرابي وترجمه الباحثون اللّسانيون الغربيون إلى اللاتينية في القرن 12 ثم إلى الانجليزية بل سأخبرك من ترجمه: إنه الفريد دي ساسي الذي أتقن العربية وترجم أغلب المخطوطات وأفاد منها، وعلم اللسان الأوروبي والأمريكي قائم على ما توصل إليه علماؤنا بما يعرف بالتراث الذي تسخر منه وتستحي أن تمدّ فيه جهدا علميا، أما مصطلح اللسانيات فارجع للمخصص لابن سيده[2].

يكمل غلفان حديثة عن شروط الممارسة العلمية مستعينا ببعض الأقوال من علماء الغرب، ويستبط بعض الأساسيات في التعامل مع اللغة أذكر منها ما ورد في كتابه قوله: تجمع الدراسات الابستمولوجية الحديثة على أن البحث العلمي السليم يمر عبر أربع مراحل هي:

1-ملاحظة كل الوقائع وتسجيلها.

2-تصنيف هذه الوقائع وتحليلها.

3-استخراج المبادئ العامة عن طريق استقراء هذه الوقائع.

4- المراقبة التكميلية لهذه الوقائع.

ويمر غلفان في سرد طويل عن تاريخ اللسانيات، إلى أن يصل إلى علاقتها بالعلم، ويرى الانجذاب بينهما كان طريق فرنزبوب بتتبع الظواهر اللغوية باعتبارها ظواهر طبيعية، مثلما كان يفعل علماء الطبيعيات، وعلماء

[1] - المرجع السابق،ص 14.

[2] -عبد القادر بن التواتي، البحث اللساني عند العرب، ص07.

التشريح الأوائل[1] وتحدث عن علماء التشريح والطبيعة وغيرها من الأمور المتعلقة بالعلوم الطبيعية، وهي معارف معروفة وليست جديدة.ثم انتقل إلى الحديث عن الدراسات اللسانية الأمريكية هاريس وتشومسكي خاصة ونظريته اللسانية النحو التوليدي التحويلي.

-علم اللسان واللغة العربية.

ناقش غلفان الرأي القائل بخصوصية اللغة العربية ولا يمكن أن تخضع للمنهج اللساني العام،أو ما يعرف بمبادئ اللسانيات العامة وإنما هناك خصوصية تلزم منهجا خاصا،يقول غلفان:وفي هذا الاتجاه يردد بعض الدّارسين العرب فكرة خاطئة تماما مفادها عدم انطباق اللسانيات العامة وقواعدها على اللغة العربية[2]وبل ويذهب إلى وصف هذه الآراء بالتعصب المقيت بقوله:ولاشك أن المواقف السابقة تحمل في طياتها تعصبا حضاريا مقيتا لا يخدم في شيء قضايا الثقافة العربية الحديثة واللغة العربية، وهو ما يدفعنا إلى طرح بعض الأسئلة المنهجية:

- اليست العربية لسانا طبيعيا مثل باقي الألسنة الطبيعية؟

-بأي معنى نقول إن علم اللغة العام يفرض قواعد معينة من خارج اللغة المدروسة؟[3]

ويقدم غلفان نماذج من أبحاث زاوجت بين البعدين العام والخاص، وأشاد بأعمال الفهري وتطبيقته للمنهج التوليدي التحويلي على اللغة العربية، كما أشاد بالمتوكل وأعماله على اللغة العربية ضمن المنهج الوظيفي يقول:وأدرك الجيل الجديد من اللسانيين العرب الأبعاد النظرية

[1]- مصطفى غلفان اللسانيات العربية أسئلة المنهج دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع- ط1، 2013م ص21.

[2]- المرجع السابق، ص27.

[3]- المرجع السابق، ص28

الهامة لدراسة اللغة العربية من منظور النظريات اللسانية المعاصرة من بينوية وتوليدية تحويلية ووظيفية فجاءت أعمالهم أكثر مردودية من الناحية النظرية والمنهجية بالنسبة للدرس اللساني العام أو الخاص متجاوزة بذلك حدود الثقافة المحلية ومساهمة في تنمية البعدين العام والخاص معا وتطويرهما[1] ثم يقدم نماذج للفهري والمتوكل أيضا.

الفصل الثاني: اللسانيات العربية رؤية نقدية:

بداية الفصل طرح غلفان مجموعة من الأسئلة، تمثلت أساسا ماذا استفاد الباحثون اللسانيون العرب من اللسانيات الغربية ؟ وكيف نقلوها للقارئ العربي؟، وماهي النتائج المترتبة عن ذلك ؟وما القيمة المضافة التي قدمها اللسانيون المحدثون لأعمال النحاة القدامى العرب؟.وهو هنا قصد تمام حسان وذكر كتابيه (مناهج البحث في اللغة1955م) و(اللغة بين المعيارية والوصفية1957م) وذكر أيضا محمود السعران (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي1962م)يقول: لا أحد ينكر قيمة هذه المؤلفات التي أسهمت حينئذ في توضيح الأسس النظرية والمنهجية التي قامت عليها اللسانيات في صورتها الوصفية موازنة بالخطاب الرسمي القديم[2].

- مناقشة المصطلح اللسانيات

[1]- المرجع السابق، ص34

[2]- مصطفى غلفان اللسانيات العربية أسئلة المنهج دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع- ط1، 2013م، ص40.

تحدث عن المصطلح والاختلاف بين اللغويين في الاستعمال لسانيات – علم اللغة –فقه اللغة- وغيرها التي تظهر في الكتابات منها:

-الدراسات اللغوية العربية الحديثة

-اللغويات العربية الحديثة

-الدرس اللغوي العربي الحديث

-الدرس اللساني العربي الحديث

-الفكر اللساني العربي

-التفكير العربي اللساني

-اللسانيات العربية

-لسانيات عربية

قال ويطلق الدارسون العرب هذه التسميات وغيرها دون ضبط أوتحديد منهجي أو تصوري إى في حالات نادرة جدا[1] ويقوم بشرح دلالة كل واحد منها.

ويطرح غلفان سؤالا مهما هو:هل تعيش اللسانيات أزمة ما؟ جوابه كان التالي: نعم تعيش اللسانيات العربية أزمة بسبب:

- الهيمنة المزدوجة يقصد التراث اللغوي القديم،والمناهج اللسانية الغربية.بقول: ويلاحظ متتبع خطاب اللسانيات الحديثة أنه خطاب يعيش تحت هيمنة مزدوجة:هيمنة التراث اللغوي القديم وهيمنة اللسانيات الغربية الحديثة مهما يجعل الخطاب العربي الحديث يفرز أشكالا متعددة متناقضة[2] وهذا أكيد وربما اتفق تماما معه في هذا الطرح فنحن بين تراثيين منغلقين ومستغربين .

[1]- المرجع السابق، ص41.

[2]- المرجع السابق ص49.

-دعوة للبحث عن الاستقلال:

دعا للبحث عن الاستقلال من هذا كله والمقصود بالاستقلال القدرة على التعامل مع قضايا اللغة العربية، واتخاذ المواقف النظرية والمنهجية المناسبة[1]، وبعد بضعة سطور يتراجع تماما عن هذا الموقف، ويشيد بتطبيق اللسانيات الغربية على اللغة العربية ويرى فيها شيئا إيجابيا يقول:فتقديم اللسانيات إلى القارئ العربي بتطبيقها على اللغة العربية، وترجمة أعمال روادها الغربيين يعد في ذاته أمرا إيجابيا، ينبغي دعمه وتشجيعه والاستمرار فيه[2].

رجع غلفان إللى سرد تاريخي لتطور الدراسات من أيام كرد علي، إلى ابرهيم مصطفى وأمين الخولي وشوقي ضيف ودعاوى التجديد آنذاك.ثم انتقل إلى خطاب لساني سوسيري.

-موضوع حفريات الفرص الضائعة.

وهي سرد تاريخي، فأول فرصة:عهد محمد علي وثورته في النصف الأول من القرن 19م

الفرصة الثانية نشأة جامعة الدول العربية.

الفرصة الثالثة: الاستشراق

حصيلة الفرص الضائعة لن يتم استغلال هذه الفرص فضاعت. -هيمنة النزعة الأدبية -دور لغة المستعمر.

-الفصل الرابع: أزمة اللسانيات العربية بسبب بعض الكتابات العربية

هناك تحول في لسانيات العربية، دون قيام لسانيات العربية, وقدم عناوين هي:

[1]- المرجع السابق ص50.

[2]- المرجع السابق ص52.

1-علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمود السعران
2-أزمة اللسانيات واللسانيين في الوطن العربي لمازن الوعر(الوعر من التيار الثالث (التراث والحداثة)
3-ملاحظات حول الكتابة اللسانية عبدالقادر الفاسي الفهري.
4- عقبات البحث اللساني الحديث عبد السلام المسدي
طرح غلفان فكر هؤلاء وشرح مقاصدهما كما وردت في المؤلفات المذكورة.

ملاحظة:
هناك تحريف لمقاصد بعض النصوص عندما ذكر غلفان نصا للفهري يتحدث عن أخذ اللغة العربية من البوادي ولم يأخذوها من أفواه معاصريهم أو أهل الحضر، لأن السبب معروف، وهو انتشار اللحن، ولا علاقة له باللغة الأم والملكة
يرجع غلفان مستعينا بنصوص مواطنه الفهري، للحديث عن التراث ومدى سيطرته على البحث حتى ظهر ما يعرف بلسانيات التراث.ص109.

-الفصل الخامس النحو واللسانيات أية علاقة؟.
تتميز العلاقة بالالتباس والغموض ترتب عنهما جملة من التصورات والمواقف الخاطئة التي أدت إلى خلق صراع وهمي بين المنظومة النحوية التقليدية و النظريات اللسانية الحديثة[1] وأشار إلى الصراع على اعتبار اعتقاد بعض النحويين أن اللسانيات جاءت للقضاء على النحو, ويرى غلفان أن علاقة العداء للنحو العربي قديمة قدم النحو للجفاء في تعاطيه

[1]- مصطفى غلفان اللسانيات العربية أسئلة المنهج دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع- ط1، 2013م، ص 131.

مع اللغة، ويرى أنها موجودة حتى في المنظومات غير العربية.وسبب دعاوى التيسير .

مجال الدراسة غلفان متذمر من طرق تدريس نحو مضى عليه آلاف السنين، مقابل تطور نسيب في اللغة صوتا وتركيبا ومعجما. ومن المؤسف أن يستند غلفان إلى شريف الشوباشي الرجل النّكرة في العالم العربي في ص172 من كتابه.

-الدعوة إلى الاستفادة من اللهجات العربية الحديثة في تعليم اللغة العربية ونحوها[1]

تناول غلفان في كتابه عناصر منها قراءة التراث، وماذا بعد قراءة التراث، كما قدم مجموعة من النماذج القرائية منها قراءة عبده الراجحي ونهاد موسى وعبد السلام المسدي، ويقدم نماذج فيما يتعلق بالتقارب والتشابه وإن كان لا يعطي أهمية لها، باعتبار أنها لا تقدم شيئا.

-الجرجاني في كتابات اللغويين العرب تعددت القراءات والجرجاني واحد تحدث عن القراءات التي تناولت فكر الجرجاني ولم تتغير مطلقا، ثم انتقل إلى كيفية قراءة التراث:

1- كيف نشتغل بالتراث ؟

2- ما السبيل على فهمه فهما جيدا؟

3- كيف نوظفه منهجيا في حياتنا ؟

ثم رجع للحديث عن الجرجاني فقال تجمع الدراسات (أعتقد أن غلفان لم يقرأ للجرجاني ولا لغيره من التراثيين)اللغوية والبلاغية التي تناولت فكر الجرجاني على أن ما ورد في (دلائل الاعجاز) و(أسرار البلاغة) يعد من قمم

[1]- مصطفى غلفان اللسانيات العربية أسئلة المنهج دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع- ط1، 2013م، ص175.

الفكر العربي [1] وهنا نجد أول إشادة غير مباشرة منه بعلم من أعلام التراث . ذكر القراءات التي تناولت فكر الجرجاني.

- الجرجاني والفكر العربي الحديث:

-الجرجاني من منظور اللسانيات البينوية مع مندور الذي تحدث عن التشابه بين فكر الجرجاني والمفاهيم البينوية لدي سوسوريقول غلفان: وانتهى مندور إلى أن مذهب عبد القاهر هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه وهو مذهب العالم السويسري الثبت فرديناد دي سوسير [2].

- الجرجاني والنحو التوليدي:

من أهم ما ذكره غلفان عن الجرجاني قوله: من هنا فإن كلام الجرجاني لا يمكنه إلا أن يستفز القارئ ويفرض عليه نوعا من الإغواء النظري يوحي بحداثة فكر الجرجاني مقارنة بالمفاهيم التي تقدمها أحدث النظريات اللسانيات [3] بل قدم مقارنة تناولت مواطن الالتقاء بين الجرجاني وتشومسكي:

-المنهج العقلي أو العقلاني

-البنية السطحية والبنية العميقة

-التوليد والتحويل

-المستويات اللغوية أو التراكيب اللغوية [4]

---

[1]- المرجع نفسه، ص227.

[2]- مصطفى غلفان اللسانيات العربية أسئلة المنهج دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع- ط1، 2013م ص232

[3]- المرجع نفسه، ص236.

[4]- المرجع نفسه، ص236.

ونتفق مع غلفان في موقفه من عبد القاهر الجرجاني الذي حسب رأي أغلب الدارسين المحدثين قد خلّص النّحو من تلك النظرة التقليدية أي بكونه قواعد وقوانين جافة ومطاردة للحركات الإعرابية فجعله أساسا لصحة النظم واستقامته[1].

تمام حسان	مصطفى غلفان
1-تمام حسان نشأ في بيئة علمية، وتربى في بيئة صافية، ونهل العلم من مظانه (الأزهر) حفظ القرآن الكريم فامتلك ناصية اللغة .ومطلع على الأبحاث الغربية	1- نشأ في المغرب الشقيق ودرس في فرنسا، والجامعات بالمغرب ويبدو أنه مجتهد في أبحاثه اللغوية الغربية خاصة .
2-تاريخه ثري بالدراسات والأبحاث التجديدية الجادة	2-كذلك له أبحاث قيّمة، ومازال يقدم المزيد
3-الجرأة في الطّرح مع أخلاقيات الباحث المتميّز الذي يتجنب التجريح في الأخرين.	3-يمتاز بالاندفاع والتعصب نوعا ما ويحكم بالعموم دون تحفظ، وقد رأينا نماذج اندفاعه
4- هدفه خدمة اللغة العربية، وشخصية متديّنة	4-هدفه فرض أفكاره واعتقد الصواب في ما يطرحه من أفكار ويمتاز بفكر متحرر
5- له عقل مرتب ترتيبا علميا	5-هناك شوائب في فكره –عدم الاستقرار في الأفكار

- نتائج الدراسة التقابلية:

[1]-عياد أم السعد ، رزايقية محمود –تجليات آراء الجرجاني اللغوية في الفكر اللغوي لتشومسكي- مجلة علوم اللغة العربية وآدابها المجلد 13 العدد1 ص797

ويبدو أن غلفان قد ذهل من فكر الجرجاني، وأعتقد أنه لم يك يعلم بمدى عمق فكره، خاصة بعد المقارنات التي عقدت بينه وبين والنظريات اللسانية الغربية بما في ذلك التداولية، مما جعل غلفان يخفّف من حدة كلامه عن التراث، وهنا أجزم أن مشكلة غلفان مع التراث أنه لم يطلع عليه البتة، ولو فعل ما كان ليكون هذا موقفه، في الخاتمة التي تناول فيها أهم ما جاء في محاور كتابه وبعض التوصيات لإنشاء لسانيات العربية.

- نتائج الدراسة التقابلية:

1- بين الشخصيتين:

2- بين المؤلفين:

تمام حسان	مصطفى غلفان
1- ما يتعلق بالكتاب: استهله بالبسملة	1- يخلو من البسملة
2- الكتاب يسير وفق منهجية	2- الكتاب فيه الكثير من التكرار، وغير ممنهج
3-دراسته أصيلة، وتجديده منطقي نابع من هذه الأصالة، ويحمل مشروعا طموحا تجلى فيما بعد.	3-لا يحمل مشروعا واضح المعالم، سوى نقد للتراث وهو نقد غير مؤسس
4-منح لقب المجدد ويطلق عليه (الكتاب الجديد) بعد كتاب سيبويه الذي سمي بـ"الكتاب"	4-هناك إشادات بما يقترحه، ولكن هناك معارضة كبيرة له
5-تراثي مجدد	5-مجدد لا علاقة له بالتراث اللغوي العربي

3-بين المؤَلفين:

1-يقدم كتاب تمام حسان طرحا	1-لم يقدم دليلا على صحة ما يقوله،

علميا، لقضايا اللغة العربية، ويقدم نماذج من التراث يعتقد أنها غير صالحة، أو هناك خطأ في القراءة من علمائنا، ويقدم الدليل على خطئها، مع البديل المقترح	يتحدث عن فكر ومنهج ونظرية ولم يثبت ذلك.
2-له اطلاع واسع على الفكر اللغوي القديم، واطلاع على الفكر اللساني الحديث، ويحاول ترقية وتصحيح التراث من خلال الاستئناس باللسانيات الغربية.	2-ليس له اطلاع على التراث وينتقده من خلال الكتابات فقط. له اطلاع على اللسانيات الغربية، ويحاول فرضها مهما كانت هذه النظريات البنيوية أو التوليدية أوغيرها من النظريات المعروفة
3-أفكاره مرتبة علميا، وهدفه واضح، وقد بينه في مؤلفاته المنشورة (اللغة العربية معناها ومبناها) و(الخلاصة النحوية) فجمع بين النظري والتطبيقي	3-لم يقدم شيئا سوى النقد، والكثير من التساؤلات، حتى في كتاباته الأخرى.
4-له منهجه في الكتابة، وعمق في الطرح، وسعة في التّعليل، ودقة في التّدليل.	4-من خلال الكتاب وقد قرأته فوجدت أنه يفتقد إلى المنهجية، صحيح أن بداية كلامه تجعلك تتصور أن هناك طرحا جيدا لكن سرعان ما تجد نفسك أمام غموض، أو نوع من الضياع بين أفكار متناقضة
5-كتاباته منظمة وأقصد بالتنظيم الفكري. عقل منظم	5-كتاباته غير منظمة، نتيجة التكرار للفكرة في أكثر من موضع، طرح موقفه من التراث، وراح يكرر ذلك في أكثر من موقع في الكتاب.
6-لا يصدر حكما إلا بعد يقين	6-التسرع في إصدار الأحكام.
7-المرونة في التعامل مع العلماء دون المساس بشخصهم، حتى في لحظات العتاب مثال: (يقول:كان	7-التعصب بقوله: تجاوزهم الزمن مثل قوله:(والأهمية التي كان يحظى بها سابقا في الفكر العربي الحديث)

على النحاة أن يختاروا الفصحى.)	
8-الثبات على الفكرة والاقتناع بها، والدفاع عنها، وربما صبره على النقد الذي تعرض له في تجديده دليل على ذلك.	8-التناقض الكبير في أفكاره والدليل موقفه من التراث اللغوي القديم، ثم التراجع والدليل ما كتبه عن فكر الجرجاني وإعجابه الشديد به، وهذا نتيجة عدم اطلاعه على التراث، واعتماده على آراء غيره

- خاتمة.

هذه الدّراسة التّقابلية بين باحثين متميزين، تمام حسان– رحمه الله- ومصطفى غلفان-حفظه الله- الهدف منها علمي، وليس هناك أي دوافع شخصية، ولا يمكن أن تكون هناك دوافع شخصية، فأنا لا تربطنا علاقة شخصية بهما، فالأول قد قضى-رحمه الله–والثاني مازال مستمرا في عطائه وفق منهجه وتصوره، فالعلاقة تكمن بينهما، فكلاهما مجدّد، من خلال كتاباتهما المنشورة، والدارسة التقابلية جاءت صدفة، وأنا أطالع الكتابين، تبادر إلى ذهني دراسة مقارنة في البداية، ثم حولتها إلى دراسة تقابلية.

أما في ما يتعلق بالأحكام، وقد كانت كلها لتمام حسان، لأن هذا ما اعتقدته، واستنتجته من قرأتي للكتابين، فإن وفقت فمن الله وإن جانبني الصواب فأسال الله العفو والعافية.

**المصادر والمراجع:

[1] - من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة
[2] - تمام حسان اجتهادات لغوية عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى السنة2007م
[3] - هـ-روبينز موجز تاريخ علم اللغة سلسة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب الكويت
[4] -عبد القادر بن التواتي البحث اللساني عند العرب مكتبة دار الضحى للنشر والاشهار الجلفة الجزائر ط2 2021
[5] - مصطفى غلفان اللسانيات العربية أسئلة المنهج دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع- ط1 2013م
-المجلات العلمية:
1- عياد أم السعد ، رزايقية محمود –تجليات آراء الجرجاني اللغوية في الفكر اللغوي لتشومسكي- مجلة علوم اللغة العربية وآدابها المجلد 13 العدد1.

وظائف الخطاب في اللسانيات التمهيدية

أ.خولة إبرير*	أ.فريدة لعبيدي
قسم اللغة العربية و آدابها جامعة الشاذلي بن جديد الطارف	قسم اللغة العربية و آدابها جامعة الشاذلي بن جديد الطارف
khaoulaibrir@yahoo.com	Labidi.farida@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/04/09--تاريخ القبول: 2021/06/14 - تاريخ النشر: 2021/12/26

- ملخص:

أتناول في هذا الموضوع وظائف الخطاب في اللسانيات التمهيدية مركزة على: مفهوم اللسانيات التمهيدية مقابل اللسانيات، و لماذا سميت باللسانيات التمهيدية؟ و ما هي الوظائف اللسانية التي تؤديها في الخطاب اللساني ليوصف بالتمهيدي؟ و تأثير ذلك على القراءة و الفهم والتلقي الخاص باللسانيات في عالمنا العربي و بخاصة في الجامعة و منها الجامعة الجزائرية؟

الكلمات المفاتيح:

لسانيات ، لسانيات تمهيدية ، خطاب لساني ، وظائف.

Abstracts:

The present paper intends to discuss: « discourse functions in introductory linguistics » focused on: the concept of introductory linguistics versus linguistic .why is it called introductory linguistics?

What are the linguistic functions that it performs in linguistic discourse to be described as an introductory one?

What is its effect on reading, understanding and reception in our Arab world especially in university, including the Algerian university.

Key words:

Linguistics, Introductory linguistics, linguistics speech, functions

---

* المؤلف الأول.

المقدمة:

يبحث هذا الموضوع كما هو ظاهر في عنوانه في وظائف الخطاب في اللسانيات التمهيدية و يتأسس على جملة من العناصر مترابط بعضها ببعض تتمثل في اللسانيات العامة و اللسانيات التمهيدية، مفهوم كل منهما و علاقة بعضها ببعض فإذا كانت اللسانيات هي العلم النظري الكلي العام، فإن اللسانيات التمهيدية تمثل جزءا منه، وكلاهما يتجلى في خطاب يجمعهما هو : الخطاب اللساني الذي يرتبط بالكتابات اللسانية و مرجعياتها الفكرية و إجراءاتها ومناهجها و يرتبط الخطاب اللساني التمهيدي بآداء العملية التعليمية الخاصة باللسانيات في مدارج الجامعة. و يتأسس كل ذلك على اتجاهات القراءة و التلقي للخطاب اللساني العربي الحديث و ما نتج عنها من تصورات متباينة ومتضادة ومتنافرة أحيانا أخرى.

و قد اخترت للحديث عن وظائف الخطاب في اللسانيات التمهيدية الانطلاق من عينة تمثيلية لاستخراج تلك الوظائف و دراستها و أهمها على الإطلاق الوظيفة التعليمية .

1- اللسانيات العامة واللسانيات التمهيدية:

تعرف اللسانيات بأنها الدراسة العلمية للسان البشري دراسة لسانية وصفية خالصة، تتعامل مع البنية اللغوية كما هي دون زيادة أو نقصان، بعيدا عن المؤثرات التاريخية و النفسية و الاجتماعية، وإنما تصف الأنظمة اللغوية في جانبها الصوتي و الصرفي و التركيبي و المعجمي وحاصل الدلالة اللسانية من ذلك، آخذة بعين الاعتبار كيفية تولد

الحدث اللساني برأي عبد السلام المسدي، ثم بتحقيقه مردوده عندما يولد رد الفعل المتوقع.[2]

و الهدف من اللسانيات العامة هو دراسة الأنظمة اللغوية المختلفة بغية فهم العلاقات النظامية داخل بنياتها المختلفة و تنوع عناصرها كما ذهب إلى ذلك مازن الوعر[3] .

و يتنافس كل ذلك على المنهج الوصفي القائم على المعاينة و تتبع الأجزاء والاستقراء و الاستنتاج.[4].

و أما اللسانيات التمهيدية: فهي صنف من أصناف الكتابة اللسانية العربية، الموجهة إلى نقل المعرفة اللسانية الغربية إلى القارئ و الباحث العربي و بخاصة الطالب في الجامعة، بغية تعريف بالمبادئ و المفاهيم والمصطلحات و النظريات بأسلوب مبسط يسهل تلقي المادة و فهمها.

تعتمد اللسانيات التمهيدية برأي مصطفى غلفان- المنهج التعليمي القائم على التوضيح و البيان و الشرح و ما يتطلبه ذلك من وسائل مساعدة كالأمثلة والرسوم البيانية. و تروم هذه الكتابة تقديم اللسانيات و مفاهيمها النظرية و المنهجية بشكل مبسط، قصد تسيير المعرفة اللسانية للقارئ العربي سواء كان مبتدئا يلج عالم التخصص، أم قارئا ينشد السلاح باللسانيات بلا استفادة منها في مجالات فكرية أخرى من فكر عربي أو نقد أدبي أو تاريخ أو ما شابه ذلك[5] يعني هذا أن اللسانيات التمهيدية ترتبط بالحياة التربوية، و بما يمكن أن نسميه خطابا مدرسيا، و يمكن أن

---

[2]- ينظر: المسدي، 1986، ص 81.

3-ينظر: الوعر، 1988، ص 37

4- ينظر: المسدي ، 1986، ص52

[5]-غلفان ، 1994،ص 91.

نشير في هذا المقام أن هذا التنوع من الكتابة ضروري لطلبة الجامعة المبتدئين، و هو مرحلة تأسيسية تستبق مرحلة التخصص ليس في العالم العربي وحده، و لكن في العالم أجمع، لأن المجال التربوي يمثل استثمارا مهما للسانيات.

يقول عبد السلام المسدي و من الثوابت الجامعة بين التيارات اللسانية اليوم،بل لعلها أم الثوابت، أنه ما من مدرسة لسانية إلا و لها نظرية متميزة تخص قضية اكتساب اللغة[6].

2- في مفهوم الخطاب اللساني:

هو الخطاب الذي يرتبط بالكتابات اللغوية المستندة من حيث خلفياتها النظرية وإجراءاتها و المنهجية إلى المبادئ التي قدمتها النظريات اللسانية في مختلف اتجاهاتها الأوروبية و الأمريكية في إطار أصبح يعرف باللسانيات العامة.[7] و هو الخطاب الذي يتخذ لغة واصفة أو وصفية محددة تتعامل مع المفاهيم والمصطلحات، إذ لابد للساني أن يرى بوضوح نقاط التواصل و التماثل والتناقص بين الأفكار العديدة التي تمثل قاعدة تلك المفاهيم الخاصة لخطابه، فمعجم الخطاب اللساني خال من الإيحاء و التراكم، عدد الدلالة،غير قابل للاشتراك اللفظي والترادف.... مادته اللغة و موضوعه اللغة فهو يدرس اللغة باللغة إن جاز التعبير[8].

و أما الخطاب اللساني التمهيدي، فهو الخطاب القائم على الخطاب اللساني العام، و يعمل على تسييره و تسهيله و فهمه، من حيث المفهوم و الموضوع والمنهج.

3- اتجاهات القراءة و التلقي للخطاب اللساني العربي الحديث:

6- المسدي، 1994، ص 19.

7-غلفان ، 1994، ص84.

8- إبرير، 2010، ص 47.

عندما عرف العالم العربي اللسانيات بوصفها معرفة علمية جديدة لها أهدافها ومفاهيمها واتجاهاتها المؤسسة على خلفيات فكرية، كان لذلك تأثيرها في قراءتها وتلقيها باعتبارها خطابا جديدا، شأنها شأن أي خطاب عربي آخر في مجال السياسة و الاقتصاد و الإعلام و الفكر بصيغة عامة، و ينتج عن ذلك عدة اتجاهات في التلقي و القراءة لا تخرج في إطارها العام عن الاتجاهات المتعلقة بالحداثة في علاقتها بالتراث، منها:

- **الاتجاه الأول:** و يمثله المتقوقعون على أنفسهم في التراث يعيشون على مديح بعض الهوامش في التراث، و يرددون ما هو جاهز، بل يردده كما جاء على لسان حسام الخطيب بأنه دسيسة أجنبية يستهدف القضاء على ثقافتنا.

- **الاتجاه الثاني:** فيبدو منبهرا بالغرب إلى درجة الاندهاش و هم المنقطعون عن التراث عامة و عن التراث اللغوي بصفة خاصة و برز بين هذا و ذاك.

- الاتجاه الثالث: ليكن أن نصفه بالتوفيقي بين الاتجاه الأول و الاتجاه الثاني.[9] لقد أثرت هذه الاتجاهات على الخطاب العربي بصفة عامة، وعلى الخطاب اللساني العربي الحديث و جعلته يكيف صيغه و أشكاله و آراءه حسبها من حيث النظرية و التطبيق، و المطلوب من الباحث اللساني العربي أن ينفلت من قبضة كل تأثير قد يصرفه عن الانشغال بالموضوع الحقيقي للدرس اللساني العربي الذي هو اللغة العربية.[10]،

و قد نتج عن هذا عدة تصورات متباينة بل و متصارعة أحيانا أخرى لكل منها هدف و غاية منها:

- التشبث بالتراث اللغوي القديم جهة و تفصيلا

- التبني المطلق للنظريات اللسانية الغربية

---

[9]- *ينظر: إبرير، ص253 و ما بعدها.*

[10]- *ينظر: غلفان، ص 29.*

- الرغبة في التوفيق بين التراث و النظريات اللسانية الحديثة.[11]

و كان البحث اللغوي اللساني العربي لا أصالة له، فإما أنه تابع للقديم، أو إما أنه تابع للغرب، و إما أنه توفيقي/ تلفيقي من هذا و ذاك، و هنا تكمن الخطورة.

تحتاج المعالجة الموضوعية إلى قراءة واعية لها معرفة لسانية حديثة عميقة، ومعرفة بالتراث اللغوي العربي و إدراك سياقاته المعرفية الحقيقية، بالإضافة إلى المعرفة الجيدة للغات الأجنبية، و كل هذا يؤدي إلى اتجاه رابع، يملك الكفاية المعرفية و الدراية المنهجية الخاصة بالخطاب اللساني العربي، و ذلك أن القراءة اللسانية تحتاج إلى متلق خاص بها متخصصا أم مبتدئا على مدراج الجامعة.

4- وظائف الخطاب في اللسانيات التمهيدية:

قبل الحديث عن أهم الوظائف في اللسانيات التمهيدية و مناقشتها رأيت من الأفضل أن أختار مدونة انطلق منها في الشرح و التفسير والتمثيل و مناقشتها: لأنه توجد كتب كثيرة يمكن تصنيفها في اللسانيات التمهيدية و لا يتسع المجال لدراستها في مقال قصير.

و يمكن أن نذكر في هذا المقام على سبيل التمثيل:

-1- علي عبد الواحد وافي في كتابه: علم اللغة [دار نهضة مصر ط.7، القاهرة، 1972.

-2- محمود السعران في كتابه: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي دار النهضة- بيروت- [د.ت].

-3- عبد السلام المسدي في كتبه: اللسانيات و أسسها المعرفية، دون بيانات

[11]- *ينظر: المرجع السابق، ص 29.*

و كتابيه، مباحث تأسيسية في اللسانيات،الدار التونسية للنشر- المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
و اللسانيات من خلال النصوص[تونس- الدار التونسية للنشر – ط1.، 1984.
-4- عبد الرحمان الحاج صالح في بحثه: أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية[مجلة في اللسانيات، عدد4، 1974– معهد العلوم اللسانية والصوتية،جامعة الجزائر.
-5- خولة طالب الإبراهيمي- مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر- الجزائر ط.2، 2000.
-6 - حافظ اسماعيلي علوي و وليد العناتي- أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات[الدار العربية للعلوم ناشرون- ط. ،2009.

إن من أهم الوظائف لخطاب اللسانيات التمهيدية: الوظيفة التعليمية فهي: "تلتزم بالجانب التعليمي، و تعطي القارئ المبتدئ المفاتيح التي تمكنه من فك مستغلقات اللسانيات، و تمكنه من مبادئها"[12].

يلاحظ المتأمل لهذه المدونة:

- من حيث عناوينها و مقدماتها و أهدافها و محتوياتها:

أن كتاب علي عبد الواحد وافي "علم اللغة "يعد أول كتاب في اللسانيات ، كما تجمع أغلب المراجع في الأربعينات من القرن العشرين، نذكر هذا الشأن الباحث المغربي مصطفى غلفان في أطروحته للدكتوراه الموسومة باللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، و قد تناول فيها موضوعات عديدة متعلقة باللسانيات العربية في ما

[12]- حافظ اسماعيلي و العناتي، 2009،ص9.

تصوره شخصيا عن اللسانيات العربية ومن التمهيدية بدءا من سنة 1984 يقول:" غير أننا إذا قمنا بتشريح مصادر الخطاب اللغوي[...] و حددنا سماته النظرية و المنهجية و جلونا أهدافه و حللنا نتائجه، تبين لنا أنه لا ينتهي نهائيا بظهور مؤلف واف، بل نكاد نجزم أنه ما زال قائما في كثير من الكتابات اللغوية المعاصرة"[13].

لقد كان علي عبد الواحد وافي في بعثة تعليمية مصرية إلى فرنسا في علم الاجتماع، و مع ذلك ألف كتابه في علم اللغة نظرا لما لاحظه من علاقة بين اللغة و علم الاجتماع من علاقة.

و أما محمود السعران في كتابه : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي فيبدو من عنوانه أنه ينشد التوضيح و التبسيط و التيسير للمعرفة اللسانية على القارئ العربي، و مساعدته على فهم بعض القضايا المستعصية عليه، و إزالة بعض التصورات الجاهزة التي رسخت بذهنه من التراث اللغوي القديم فقد قال: " إن القارئ العربي تعلق بذهنه تصورات و مذاهب لغوية لا تيسر له متابعة التصورات و المذاهب الحديثة في المؤلف الأوروبي أو الأمريكي"[14].

و بهذا تظهر الوظيفة التعليمية من عنوان الكتاب و مقدمته و القضايا التي يطرحها، فقد رأى أن دراسة اللغة العربية و النظر فيها جد قديم، وللعرب في ذلك آثار كبيرة معروفة لابد من تدبرها، يقول: "لقد حاولت تبسيط حقائق هذا العلم ما وسعني التبسيط مع حرصي على الدقة والسلامة حتى يستقل القارئ المبتدئ بتحصيل ما فيه من دراسة وينتقل

[13]- غلفان ، ص 80 .

[14]-السعران، ص2، و ينظر ،غلفان ، ص 100.

آمنا إلى مطالعة أصول هذا العلم منقولة إلى العربية أو مكتوبة بلغتها[15]، و الملاحظ أن السعران كما يفهم من قوله: بقدر حرصه على جعل القارئ العربي يطلع بسهولة و يسير على اللسانيات (علم اللغة) بوصفها علما جديدا وافدا على العرب و العربية، بقدر حرصه على إبقاء هذا القارئ وفيا لتراثه متشبثا به.

- أما عبد السلام المسدي في كتبه المذكورة سابقا ،فيسكنه الهاجس التعليمي كما برز من عناوين كتبه مثلا: " اللسانيات من خلال النصوص" فهو كتاب موجه أساسا إلى طلبة الجامعة المبتدئين الذين يكتشفون الدرس اللساني بوصفه جديدا عليهم تمام الجدة، ثم إن الكتاب يقوم على اختيار نصوص للسانيين معروفين كل نص يعالج قضية لسانية محددة يظهرها النص، يقدمها الأستاذ للطالب بطريقة بسيطة سهلة ميسرة تجعله يفهم القضية اللسانية المطروحة، وتعد هذه فكرة جيدة من لدن المسدي و بخاصة وقت تأليفه الكتاب، و يؤكد المسدي هذا التوجه في كتابه: مباحث تأسيسية في اللسانيات ذلك ما تشي به كلمة تأسيسية التي جاءت وصفا للباحث و جاءت محددة لميدانها المعرفي و هو اللسانيات، جاء في مقدمة الكتاب:"و هكذا نشاهد في مجالنا العربي وضعا استثنائيا: فالحاجة إلى الخبرة اللسانية تتكاثف، و لكن الوعي بضرورة التأسيس النظري و بفاعلية التثقيف المعرفي ينحسر فيحتجب بانحساره الإدراك العلمي الشامل، و تتقلص دوائر الإشعاع حتى تنغلق في حلقات الاختصاص الأكاديمي.

[15]-السعران، ص 56.

من منطلق هذه الخبرة الفكرية بدا لنا أن العلم التأسيسي في المجال اللغوي لما يساعد على ترسيخ أهمية البحث النظري المتماسك للقضايا المتعلقة باللسان القومي." [16]

و هكذا وصف المسدي الواقع بالاستثنائي في الوقت الذي تزداد الحاجة إلى الخبرة اللسانية، مما يحتاج إلى التأسيس النظري الأكاديمي الصارم إلى فاعلية التثقيف، الأمر الذي سيخدم القضايا المتعلقة باللغة العربية في نطاقها القومي.و للقارئ الكريم كما جاء في كتابه : اللسانيات و أسسها المعرفية – صورة – يلتمسها في مدخل هذا الكتاب، و قد أبشرنا أن يكون تبصرة بواقع البحث اللساني في الوطن العربي، و هو نمط من البحث يمثل . في تقديرنا – عتبة الإشكال المعرفي.[17]، و قد تناول المسدي في الكتابين **المباحث التأسيسية**، و **الأسس المعرفية** عدة موضوعات رآها ضرورية في التأسيس للبحث اللساني العربي، و يمكن القارئ أن يستفيد منها و من ذلك:

- في **أشكال العلم**: و خصصه لعقبات البحث اللساني العربي.
- في **موضوع العلم**: و تناول فيه حد اللغة بين المعيار و الاستعمال.
- **في بنية العلم**: و عالج فيه الأنساق الدلالية المختلفة.
- **في حد العلم**: و بحث فيه مقومات البحث اللساني.
- **في مادة العلم**: بين فيه مراتب الظاهرة اللغوية.
- **في منهج العلم**: و وضح فيه الزمانية و الآنية.
- **في توظيف العلم**: تحدث فيه عن اللسانيات و تعليم اللغات.

[16]- المسدي، ص6.

[17]- المسدي، ص7.

- **في لغة العلم:** و تناول فيه الوضع و الحمل.

و يمكن أن نسجل ملاحظة رأيتها مهمة و هي أن اللغة التي يكتب بها المسدي تحتاج إلى بذل جهد من القارئ لفهم ألفاظها و تراكيبها وأسلوبها، لأنه أسلوب صعب متشرب صاحبه لغة التراث بكفاية، وكثيرا ما تبرز في استعمالاته المستعصية على الفهم أحيانا، و بخاصة إذا علمنا أن الوظيفة التعليمية تحتاج إلى الوضوح والتبسيط و يبدأ ذلك من اللغة، و اختار حافظ اسماعيلي علوي و وليد العناتي الانطلاق من أسئلة اللغة و أسئلة اللسانيات في عمل مشترك بينهما و هو عبارة عن أسئلة تم طرحها على مجموعة من اللسانيين العرب و أجوبة تلقوها منهم، فكان العمل عبارة عن محاورة مكتوبة تقدم بها المؤلفان ليبينا بواسطتها الأسئلة الكبرى التي مازالت تؤرق الباحث اللساني العربي.

و من بين أهم النتائج التي سجلها المؤلفان أن أسئلة اللغة تظل هي أسئلة اللسانيات، و أن التمييز بين التراث اللغوي العربي و اللسانيات مازال لم يتضح بعد، بالرغم من أن اللسانيات ذات منزلة و وجاهة وقدرة على محاورة العلوم والمعارف الأخرى و بخاصة البينية منها، يظهر ذلك في المحتوى المعرفي الذي تناوله المؤلفان مقسما إلى قسمين:

- **القسم الأول خصصاه للسانيات عالجا فيه:** أهمية اللسانيات كونها علما و واقعا بحثيا في الثقافة العربية، و العوائق و الصعاب التي تعترضه بالإضافة إلى إشكالية المصطلح اللساني و التقريب، و اللسانيات و التراث اللغوي العربي، واللسانيات و تعليم اللغة العربية، و اتجاهات البحث اللساني،و الترجمة اللسانية و اللسانيات الحاسوبية، و البحث اللساني في بعض الأقطار العربية و ختما هذا القسم بتوجيه نصائح للباحثين الشباب

و أما القسم الثاني فخصصاه لأسئلة اللغة العربية و تحديات العصر ، و المحيط الاجتماعي- الثقافي و التنمية البشرية، و وسائل ترقية اللغة العربية و قضاياها المختلفة.

و أهم ما يلفت الانتباه في هذا الكتاب أنه انطلق من السؤال ليتلق جوابا من لدن لسانيين مختصين.و من شأن هذا أن يقدم خدمة للباحث المبتدئ و للقارئ في المجال بصفة عامة، و بخاصة طلبة الجامعة، بالنظر إلى الموضوعات المعالجة.

- عنونت خولة طالب الإبراهيمي كتابها ب« مبادئ في اللسانيات» و تعني بها جملة الدروس التي قدمتها محاضرات للطلبة بجامعة الجزائر يظهر في قولها: «...وتنشر اليوم هذه الدروس التي عنونتها **مبادئ في اللسانيات»**[18]. وقد كتبت مقدمة لكتابها أشارت فيها إلى بداية دراستها للسانيات عند الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح، و كان ذلك سنة 1974. و في سنة 1978 تولت إلقاء محاضراتها على طلبة الليسانس. تقول: « مرت سنوات، التقيت فيها بالعشرات من الطلبة و اشتد عودي و تمرست تجربتي، فبدأت فكرة جمع محاضراتي و دروسي ونشرها تراودني لوضعها في متناول الطالبة الذين كانوا يلحون دائما علي بطبعها في شكل مذكرات خاصة و أن المكتبة العربية تشكو من عجز كبير في مجال الدراسات اللغوية الحديثة ». (تؤكد الأستاذة خولة طالب على الوظيفة التعليمية التي تميز كتابها، كونها دروسا مقدمة للطلبة بعد مسار طويل، و تجربة واعية. وتشير إلى أن طلبتها كثيرا ما ألحوا عليها لتطبع دروسها في مذكرات و هذا يعني أن الطلبة أدركوا أهمية الدروس و قيمتها و جهد الأستاذة التي كثيرا

[18]- خولة طالب الإبراهيمي، ص1.

ما تشير إلى فضل أستاذها عليها (عبد الرحمان الحاج صالح) و هذا وفاء أراه يدخل في الوظيفة التعليمية التي يجب أن يدركها الطلبة :

شمل الكتاب موضوعات مهمة في اللسانيات هي:

- **اللسانيات:** العلم/ الموضوع، تعرف علم اللسان و بين اتجاهاته ومفاهيمه المبدئية .

و خصصت الفصل الثاني للسان بوصفه موضوعا للسانيات؛ فهو نظام من الأدلة المتواضع عليها، و حددت مفهوم البنية و النظام في اللسانيات، و عرفت الدليل اللغوي/ العلامة اللغوية و خصائصه ووظائفه.

و جعلت الباب الثاني خاصا بالتحليل العلمي للسان درست فيه الصوت من حيث مفهومه و مكانته في النظام اللغوي موسعة النظر في علم الأصوات الفيزيائي و الفيزيولوجي، محددة الصوتيات الوظيفية.

و درست مستوى الكلمات بوصفها وحدات دالة متطرقة إلى المدرسة الوظيفية و التوزيعية. ثم تناولت بالتحليل أبنية الكلام؛ فعالجت التركيب الوظيفي عند مرتينيه، و الجملة في النحو التوليدي التحويلي موضحة الفرق بين مفهوم البناء و الجملة في اللسانيات العربية كما أشارت إلى النظرية السياقية و المقامية و بينت نظرية الحقول الدلالية.

و خصصت الباب الثالث للتطورات المعاصرة للسانيات موضحة الانتقال من لسانيات اللسان إلى لسانيات الخطاب أو الكلام و ختمت كتابها بقوائم الأعلام و الأسماء الأجنبية التي وردت في الكتاب و قائمة المصطلحات اللسانية التي شملها مع مقابلها في اللغة الفرنسية.

و تعد هذه الموضوعات مرتبطة بشكل واضح بتخصص اللسانيات، ومعبرة فعلا عن الوظيفة التعليمية الكامنة فيها، و التي راهنت الأستاذة على تحقيقها. فالدروس المقدمة رصينة و مفيدة، و الكتاب جار استعماله بين الطلبة و الأساتذة الجامعيين منذ تاريخ صدوره سنة 2000.

تفرد عبد الرحمان الحاج صالح بالتوجه مباشرة إلى مدرسي اللغة العربية في بحثه الموسوم بـ" أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية" و هو بحث مهم جدا في كونه بحثا لسانيا تطبيقيا تربويا يهدف إلى إفادة مدرسي اللغة العربية من اللسانيات و توظيفها واستثمار نتائجها في النهوض بمستواهم؛ من حيث الإجادة اللغوية و النجاعة التعليمية و الكفاية المنهجية في الأداء البيداغوجي و ما تقتضيه العملية التربوية بصفة عامة ، و العملية التعليمية بصفة خاصة من كفاءة في التبليغ و التواصل .

يتوجه عبد الرحمان الحاج صالح إلى مدرسي اللغة العربية بالجامعة على وجه خاص و المدرسين في التعليم ما قبل الجامعي بوجه عام.

جاء هذا البحث في إطار سلسلة من الأبحاث السابقة له تحمل العناوين الآتية:

- مدخل إلى علم اللسان الحديث (1) تحليل لأهم مفاهيمه و مناهجه[19].
- مدخل إلى علم اللسان الحديث (2)، علم ما قبل القرن التاسع عشر.[20]
- مدخل إلى علم اللسان الحديث (3)، القرن التاسع عشر و النصف الأول من القرن العشرين.[21] و يأتي هذا البحث ممثلا للسلسلة الرابعة ولكن خصصه للعملية التربوية. و قد تناول فيه موضوعات عديدة منها ما تعلق باللسانيات من الناحية النظرية و منها ما تعلق بتوظيف اللسانيات في العملية التربوية. فقد بدأ بحثه **بتمهيد** وضح فيه المشاكل التربوية التي تعترض طريق الترقية العلمية والثقافية في البلدان النامية عادة و العربية خاصة و منها الجزائر.

[19]- عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، المجلد 1، العدد1، 1971.

[20]-المرجع نفسه ،عدد2،1971.

[21]- المرجع السابق، 1971.

ثم تطرق إلى علم اللسان و **صناعة تعليم اللغات** موضحا اختلاف أهدافهما ومسالكهما و من ذلك أن المعلومات اللغوية نوعان: ما يرجع إلى النظر و ما يرجع إلى الملكة اللغوية و العلاقة القائمة بين العلم وتطبيقاته هي علاقة جدلية، فقيمة العلم تكمن في اختبار نتائجه والاستيعاب الجيد للمعطيات النظرية يمكن من الإجراءات التطبيقية المحققة للنتائج المأمولة.

و كل هذا ينبني على **معرفة القوانين العامة التي أثبتتها اللسانيات لما لا يجوز لمربي أو مدرس اللغة العربية جهله** .

و يتطلب ذلك ضرورة الإلمام بما جد على صعيد البحث اللساني من قوانين و مفاهيم و معلومات و ربطها بمناهج التحليل عند النحاة العرب القدامى.

ثم وضح الحاج صالح **ظواهر اللسان و التبليغ في منظور اللسانيات الحديثة**، فاللسان هو قبل كل شيء أداة تبليغ و تلك وظيفته الأصلية وهو أيضا ظاهرة اجتماعية لافردية ، و لكل لسان/ لغة خصائص تميزه، و هو في حد ذاته نظام من الأدلة التي تم التواضع عليها و لذلك يتميز بمنطقه الخاص. ثم إنه وضع و استعمال ثم لفظ و معنى في كل من الوضع و الاستعمال.[22]، و قد أبرز الحاج صالح أن حيوية اللغة تظهر في كثرة استعمالها في التخاطب اليومي.و أن اللغة المنطوقة أصل ولغة التحرير فرع عليها . داعيا المعلمين إلى **التعرف الموضوعي على المشاكل اللغوية و التربوية** فماذا يجب أن نعلم من اللغة؟ و كيف نعلمه؟.[23]

يقتضي: النظر في محتوى اللغة التي يتم تقديمها للتعلم.

---

[22]- ينظر:اللسانيات، أثر اللسانيات في النهوض بمدرسي اللغة العربية ، عدد 4 ، 1974،ص38 وما بعدها.

[23]- ينظر: نفسه ،ص42.

والنظر في محتوى الطريقة المستعملة في توصيل المحتوى.

والنظر في تأدية المدرس لهذه الطريقة من الناحية الإجرائية.

وقد تبين بناء على ذلك بالإضافة إلى دراسة الوضع الراهن زمن كتابة البحث، للغة العربية، مقاييس اختيار المحتوى التعليمي المناسب بناء على: **المظهر اللفظي و المظهر الدلالي و المظهر اللساني الاجتماعي**.[24] .

وختم الحاج صالح بحثه بالإشارة إلى أن كل طريقة تعليمية تتصف بأدنى شيء من الجدية ، يجب أن يتوفر فيها خمسة عوامل:

- الانتقاء.
- التخطيط.
- الترتيب.
- كيفية العرض.
- كيفية الترسيخ.[25]

بقي أن نشير إلى أن ما كتبه عبد الرحمان الحاج صالح في هذا البحث وإن كان موجها إلى مدرسي اللغة العربية أساسا في الجامعة خاصة يجمع بين التخصيص و الرؤيا التعليمية، و يحتاج إلى جهد في فهمه وفي تطبيقه. وقد شاع هذا الرجوع إلى هذا البحث عند الكثير من الباحثين في اللسانيات خارج الوطن و داخله. و لكن يوجد أيضا من لم يطلع عليه بعد، فمن الضروري الاستفادة منه لقراءة المعلومات اللغوية والتربوية و كثافة المفاهيم اللسانية القديمة و الحديثة و تنوعها، وللكفاية المنهجية الإجرائية التي تميزه.

الخاتمة:

[24]- ينظر: نفسه ،ص 48 و مابعدها.

[25]-ينظر: نفسه ،ص62/61

نسجل أن هذه العينة التي قدمناها التقت كلها في تقديم خدمة القارئ العربي بصفة عامة و للطالب الجامعي و للمتعلمين المبتدئين. عدا الحاج صالح الذي ركز على المدرسين بوصفهم المعنيين بتنفيذ إجراءات العملية التعليمية.

كما أنهم قد انطلقوا من افتراض أو قناعة راسخة لديهم بأن القارئ أوالباحث أو المدرس العربي لا يعرف اللسانيات فراحوا يكتبون له ليعرفوه بها و بفائدتها لأنه يطلع عليها لأول مرة و جاهل بأصولها.

نسجل أيضا أن اللسانيات التمهيدية تهدف أساسا إلى تحقيق الوظيفة التعليمية بما تنشده من وضوح و تبسيط و تداول و هو ما تجلى في هذه العينة المختارة على ما بها من تفاوت.

** **المراجع و المصادر:**

1- بشير إبرير ، دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي، عالم الكتب الديث، إ ربد ،الأردن، ط1، سنة 2010.

2- حافظ اسماعيلي و وليد العناتي، أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات ،الجديدة المتحدة ،ط1، سنة 2009.

3- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، سنة 2000.

4- عبد الرحمن الحاج صالح :

- مدخل إلى علم اللسان ،مجلة اللسانيات، مجلد1، عدد 1، جامعة الجزائر ، سنة 1971.
- مدخل إلى علم اللسان ، مجلة اللسانيات، مجلد1، عدد 2، جامعة الجزائر ، سنة 1971.
- أثر اللسانيات في النهوض بمدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، عدد 4، سنة 1974.

7- عبد السلام المسدي:

- اللسانيات و أسسها المعرفية،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس 1986.
- قضايا في العلم اللغوي، الدار التونسية للنشر، جانفي 1994.

9- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة، مدخل، دار طلاس دمشق، سوريا، ط1، سنة 1988.

10 - محمد السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د ت .

11- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية، منشورات كلية الآداب و العلوم اللسانية،جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الدار البيضاء، سلسة أطروحات جامعية رقم 56/4. سنة 1994.

العلة: المفهوم والتطور
The bug: concept and evolution

د.عبد الله بوخلخال
جامعة الجزائر2،الجزائر
Boukhlekhal Abdellah
PhD, University of Algiers 2
boukhealkhal1978@gmail.com
0552198643

تاريخ الإرسال:14 / 11/ 2021-تاريخ القبول: 2021/12/16- تاريخ النشر:2021/12/26

ملخص:

العلة النحوية هي إحدى المفاهيم الأساسية في الدرس النحوي بعامة والدرس النحوي الأصيل بخاصة،وقد مرت مفاهيمها بمراحل: مرحلة الأصالة حيث عُني في العلة بتفسير ما خرج عن الأصل،ثم مرحلة تعميمها على تفسير كل الظواهر النحوية، ثم مرحلة جعلها إحدى ركائز القياس الأربعة.

الكلمات المفتاحية:العلة ؛القياس ؛الأصل ؛الفرع ؛البنية

Abstract:

The grammatical cause is one of the basic concepts in the grammar lesson in general and the original grammar lesson in particular, and its concepts have gone through stages: the stage of authenticity, where I mean in the illness an explanation of what is outside the original, then the stage of its generalization to the interpretation of all grammatical phenomena, and then the stage of making it one of the four pillars of measurement.

Keywords: cause, measure**,** origin؛ branch, structure.

-مقدمة:

العلة النحوية من المفاهيم الجديرة بالبحث ،ذلك أنها أخذت حظا معتبرا من كتاب سيبويه، فهي من المفاهيم الهامة في التبرير لبعض البنى و المجاري التي تبدو شاذة عن النظام العام للنحو العربي ،ولا يمكن وضع قواعد لأي لغة لينتحي الناس سمتها ما لم تكن مبررة ومبررا كل ما هو شاذ عنها أو خارج عن أصلها الذي تكون عليه قبل أن يعترضها شاغل .

وما يزيد من أهمية هذا المفهوم أنه اعترته مفاهيم مختلفة تقاسمه المصطلح ذاته، فكان جدير بنا أن نُبِين عن الأصيل منها، من المتوسَّع فيه، من المعدول به إلى غير ما أراده له المبدعون الأول، أو إلى غير مجاله(القياس) بتأثير من تأصيلات الفقهاء، فوقعوا في خطيئتين ،خطيئة تحديد القياس بتحديدات الفقهاء جاعلين له أركانا أربعة ،وخطيئة جعل العلة إحدى هذه الأركان، وهذا بعيد كل البعد عن مفهوم العلة الأصيل .

وما زاد القضية التباسا، زعم المحدثين من دارسينا، المتأثرين بالمستشرقين طورا، وباللسانيين الوصفيين طورا آخر، أنّ النحو التقليدي يُعنى أساسا بمعرفة العلة و الاهتمام بالتعليل نتيجة لصدور هذا النحو عن الفكر الأرسطي،أمّا النحو الوصفي – حسبهم – فيقرر الحقائق وفق ما تدل عليه الملاحظة .

1. تعريف العلة:

1.1. العلة في اللغة: جاءت العلة في معاجم اللغة بأربعة معان، " الأول، العلل وهي الشربة الثانية، و الأصل الآخر : العائق يعوق ، قال الخليل: العلة حدث يشغل صاحبه عن وجهه ،و الأصل الثالث : العلة : المرض".[1] و عند ابن منظور في لسان العرب في تبيان المعنى الذي ذهب إليه الخليل ما يأتي :" العلة : الحدث يشغل صاحبه عن حاجته، كأن تلك العلة صارت شُغلا ثانيا منعه من شغله الأول "[2] فالشغل هنا هو الصورة أو الحالة أو الحكم أو المبنى (بالنسبة للنحو) الطارئ بطروء حدث (علة شاغلة) .

وفي لسان العرب معنى رابع، هو السبب، وهو أشهر معنى في استعمال الدارسين المحدثين خاصة، يقول ابن منظور:" و هذا علة لهذا أي سبب، و في حديث عائشة: فكان عبد الرحمن يضرب رجلي بعلة الراحلة أي بسببها"[3].

2.1. العلة في اصطلاح المحدثين:

سنعرض للعلة الحديثية على عجل بيد أنها من قبيل ما هو تابع للدليل النقلي لا العقلي، فهي علة مرتبطة بالدليل المحسوس لا بالنظر ، بالسماع و النقل لا بالاستدلال كالقياس و نحوه، في حين أن العلة النحوية حسية، أي مدركة بالحواس (كالثقل و التنافر ...إلخ)، لكنها لا تعالج المنقول قبولا أو ردا، أي حيث الدليل الأول من أدلة النحو ألا وهو السماع، و إنما من حيث تفسير سبب خروجه عن الأصل الوضعي .

---

[1] - محمد بن الحسن الزبيدي ، طبقات النحويين و اللغويين ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط2، دار المعارف، مصر،1973م، ص 11.

[2] - ابن منظور، لسان العرب،1981م، ج5، ص3080.

[3] - المرجع نفسه،ج5، ص3080.

و إذا لم تكن العلة الحديثية من قبيل العلة النحوية ، ومن ثم هي ليست كالعلة الفقهية – عند المبدعين الأوائل – التي تحضر في المقام الذي تحضر فيه النحوية و هو التفسير ، فهي (العلة) الحديثية لم تعدم لها تقاطعا مع العلة النحوية حين يريدون لها الخصوص لا العموم ، على اعتبار أنّ العلة الحديثية لم تستقر على معنى واحد.

و قد عُرّف الحديث المعلل بالحديث " الذي أطلع فيه على علة تقدح في صحته مع أنّ ظاهره السلامة منها "[4]، فهو الحديث الذي رجاله ثقات، إلا أنّ العارفين بالعلل يستلون منه علة خفية قادحة في صحته -لا أي علة - فهذا الذي يتماشى و الذي كان عليه التعليل عند أوائل النحاة قبل أن يصير عاما يطال كلَّ ظاهرة نحوية فيفسرها، إلا أنه – يقول ابن الصلاح " قد يطلق اسم العلة على غير ما ذكرناه من باقي الأسباب القادحة في الحديث المخرجة له من حال الصحة إلى حال الضعف المانعة من العمل به على ما هو مقتضى لفظ العلة في الأصل ... ثم إنّ بعضهم أطلق اسم العلة على ما ليس بقادح... إلخ "[5] فهو لا يُعنى بما خفي مما يجدُر بالمحدِّث أن يقف عليه لئلا يُظن صحة الحديث، و إنما بكل سبب مفض إلى وهن الحديث و ضعفه، كالإرسال أو الانقطاع مهما كان نوعه، و الشذوذ و نحو ذلك مما هو موجب لضعف الحديث، ثم عمّموا العلة توسعا فأطلقوها على ما ليس بقادح .

[4] - أحمد بن حنبل،العلل ومعرفة الرجال، تح:وصي الله عباس،دار الخاني، ط2، الرياض،2001م، ص31 .

[5]- المرجع نفسه، ص32.

3.1 العلة في اصطلاح الفقهاء :

و الذي يعنيننا بهذا الصدد هو مفهوم العلة و توظيفها كلفظة في استعمال الفقهاء المعاصرين لجيل نضوج النحو و اكتماله، و أعني الشافعي خاصة ، ذلك أنّه أول من صنف كتابا في أصول الفقه وتحدث فيه بإسهاب عن القياس، فهل أورد في رسالته لفظة «العلة» في غضون حديثه عن القياس، و من ثم عن علة حمل المقيس على ما قيس عليه ؟ أم أن العلة كلفظة و بهذا المفهوم لا وجود لها في الرسالة و لا في كتابه «الأم»؟ و إذا كان الحديث عن العلة تحت أي اسم لا مناص له في أثناء استعراضه لأمثله من القياس الفقهي، فبأيٍّ كان يعبّر؟ و إذا كانت العلة بهذا اللفظ عبر عنها في القياس الفقهي بلفظ آخر، فهل لها و جود في التفسيرات الفقهية بهذا اللفظ و تحت معنى مغاير؟

فكل هذا سيقودنا إلى تناول العلة بلفظها الذي كانت عليه في «الأم» أو بمعناها في «الرسالة» قياسا بما آلت إليه في كتب أصول الفقه عند اللاحقين .

يذهب الحاج صالح إلى أن الشافعي لا يستعمل لفظة « العلة » في غضون الحديث عن الفرع و الأصل القياسيين كما انتهى إليه الأمر عند الأصوليين فيما بعد وعند أبي البركات و السيوطي و أغلب المعاصرين المتأثرين بهذين العالمين، فيقول: " فألفاظ القياس الفقهي من أصل وفرع و علة و حكم لم تظهر هكذا مجموعة بهذه المعاني المحصورة إلا بعد الشافعي و قد رأينا أيضا هذا الإمام لا يستعمل كلمة « علة » إلا بمعناها القديم : و هو سبب الاضطراب أو السبب للخروج عن الأصل"[6].

[6]- الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزار، 2012م، ص327.

أما العلة التي هي أحد أركان القياس عند الفقهاء، ثم عند النحاة الفقهاء المتأثرين في أصول نحوهم بأصول الفقه إلى حد الخلط بين المفاهيم الفقهية و المفاهيم النحوية بما لا يتماشى مع طبيعة علم النحو، فالشافعي أبدا ما يعبر عن هذا المفهوم بلفظة العلة و إنما بالمعنى، يقول الحاج صالح: " أما العلة... و هو ما يسميه الشافعي بـ «المعنى» و هو الجامع عند من جاء بعده، و هو ما ارتبط بالحكم في الأصل فإذا وجد في الحادثة نفس المعنى يكون لها حكم هذا الأصل"[7] ولنتمثل هذا المعنى أكثر، نعرض لما أصّل فيه الشافعي حينما بين أن القياس بالقياس إلى ما ينتهي إليه من حكم نوعان: " أن يكون الشيء في معنى الأصل فلا يختلف القياس فيه، و أن يكون الشيء له في الأصول أشباه، فذلك يُلحق بأولها به، و أكثرها شبها فيه، و قد يختلف القايسون في هذا "[8]، فالشيء ههنا هو الفرع و النازلة الحادثة، «و أن تكون في معنى الأصل» أي أن يجمعها بالأصل معنى مشترك لتلحق بالأصل و تأخذ حكمه، وهذا فيما لا تنازعه و لا تعتوره أصول فيقع إجماع العلماء على الأصل من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ لتلحق به النازلة و يحمل عليه الفرع، لقاء ذلك المعنى الجامع و الذي عبّروا عنه فيما بعد بالعلة .

هذا عن «المعنى» بصرف النظر عما آل إليه بعدا، أما العلة كلفظ فلم تحفظ عن الشافعي في الرسالة إلا مرة واحدة و بمفهوم مغاير عن المعنى الجامع بحسب ما يقتضيه السياق ـ يشهد لما جنح إليه الحاج صالح من كون الشافعي لا يستعمل لفظة العلة إلا بمعناها القديم، يقول محمد بن حجر: " إن الشافعي ما استعمل مصطلح العلة في الرسالة إلا مرة واحدة و ذلك قوله في حواره مع مناظر قال: فقلت له: فقد يلزمك في قولك لا تعقل

[7] - المرجع السابق، ص328.

[8] -الشافعي، الرسالة، دار الفكر، لبنان، ص480.

ما دون الموضحة مثل ما لزمه في الثالث، فقال لي : إن فيه علة بأن رسول الله لم يقض فيما دون الموضحة بشيء، وهذه العبارة -يقول بن حجر - و إن كانت تؤيد ما ادعاه الحاج صالح ، فإن الشافعي استعمل مصطلح « المعنى » في الرسالة كثيرا "[9] ! !

سنتتبع مصطلح « العلة » في كتاب « الأم »لنستل المعنى الذي يحمله هذا المصطلح من خلال السياق، يقول الشافعي: " و من نام وجب عليه الوضوء لأنه لا يكل نفسه إلى الأرض"[10]، العلة ههنا تمْثُلُ في انتقاض وضوء النائم قائما قياسا على النائم مضطجعا، و كان الأصل ألا ينتقض وضوؤه لأنه لم ينم مضطجعا إلحاقا له بالنوم قاعدا، إلا أن شاغلا شغله عن حكم البقاء على الوضوء، متمثلا في أنه بقيامه لا يكل نفسه إلى الأرض، مثله مثل المضطجع، و هي العلة التي أفضت إلى اضطراب الحكم و خروجه عن أصل يقتضي الطهارة إلى فرع موجب للحدث، و من ثم انتقاض الوضوء .

و يقول الشافعي" فعلمنا أن لجمعه في الحضر علة فرقت بينه وبين إفراده فلم يكن إلا المطر . و الله تعالى أعلم . إذا لم يكن خوف ووجدنا في المطر علة المشقة كما كان في الجمع في السفر علة المشقة العامة فقلنا : إذا كانت العلة من مطر في حضر ، جمع الظهر و العصر والمغرب و العشاء"[11]، نتبيّن من هذا أنّ الأصل الإفراد في الحضر لا الجمع، و هو أصل بكونه مستمرا و غالبا، و أي خروج عن هذا الأصل إلى هيئة فرعية لا يكون إلا لعلة توجب ذلك العدول، و العلة ههنا هي المشقة، فالصورة الفرعية للصلاة منوطة بالمشقة وجودا وعدما .

[9] -محمد بن حجر، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة، العدد الخامس،2014م، ص117.

[10] -الشافعي، الأم، تح: رفعت فوزي عبد المطلب، ج2، 1، مصر، 2001م، ص36.

[11] -المرجع نفسه، ص166 .

و يحدّثنا عن إفطار النبي ﷺ في شهر رمضان بعد العصر إبان الفتح، وأنه شرب و الناس ينظرون فقال محاورُ الشافعي: " هذا في شهر رمضان، قلت (الشافعي) : فذلك أوكد للحجة عليك أنه إذا كان له أن يفطر في السفر في شهر رمضان لا علة غيره برخصة الله"[12]، فعلة الإفطار هي عارض عرض، فصرف الوجوب إلى الخيار بين الصوم والفطر ، وهذا الشاغل المانع من بقاء الحكم على حاله الذي حدث، وهو علة السفر مظنة المشقة و التعب .

و ما يشهد بصحة ما ادعاه الحاج صالح، **أنّ** إيراد الشافعي لمصطلح «العلة » في سفره الضخم " الأم " قليل جدا، لأن العلة بمعنى الحدث الشاغل العارض هو سبب خاص لا عام و ما كان كذلك فإنّه يقل استعماله، و ما كان سببا عاما فإنه يكثر مجيئه.

و إنما الذي كان يفعله الشافعي بصدد تبيان الحكمة من الحكم وتفسير النصوص أنه يكتفي بعبارة «لأن»، و مثاله تعقيبه على حديث المصطفى ﷺ « الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام»، و قوله:" لأن المقبرة مختلطة التراب بلحوم الموتى وصديدهم... و إن الحمام ما كان مدخولا يجري عليه البول و الدم والأنجاس"[13] .

وربما استعمل لفظة « السبب » في مقام العلة في استعمال الخالفين لها من ذلك قوله: " فقلت له: إن كان مخالفا لحديث عائشة فكان الذي يلزمنا و إياك أن نصير إلى حديث عائشة دونه (حديث رافع بن خَديج)، لأن أصل ما نبني نحن و أنتم عليه : أن الأحاديث إذا اختلفت لم نذهب إلى واحد منها دون غيره إلا بسبب يدل على أن الذي ذهبنا إليه أقوى... قال و

[12] -المرجع السابق، ص655.

[13] - المرجع نفسه،ص206 .

ما ذلك السبب قلت: أن يكون أحد الحدثين أشبه بكتاب الله... إلخ"[14]، فالسبب ههنا هو المعنى الجامع، ذلك أنّ المعنى الجامع بين الحديث و الآية التي هو أشبه بها، هو سبب ذهابنا إلى أحدهما و تركنا للآخر، و هذا في القياس الترجيحي، فيكون أحد الحدثين أقيس من الآخر في الاستدلال الصحيح حسب ما يراه المستدِل.

4.1العلة في اصطلاح النحو الأصيل :

لا شك أن النحو تجلّى مكتملا متبلورا في كتاب سيبويه، فمن أراد أن يقف على الدرس النحوي الأصيل و أدلته و تعليلاته قبل أن تشوبها شائبة إساءة المفاهيم الخليلية الأصلية و قبل أن ينحرفوا بمفاهيم النحو الأصيل إلى مفاهيم أرسطو ويخلطوه بها، أو إلى مفاهيم الفقهاء فيقحموا المادة النحوية في أقيسة و تعليلات الفقهاء و تبويباتهم ، فينظر إلى الأحداث و الظواهر النحوية بعيون الفقهاء في معالجتهم للنصوص الشرعية، على أنّ النحاة الأول و إن كانوا كلهم قراء و يُعنَون بالعلوم الإسلامية طرّا، إلا أنهم يعالجون كلّا بما تقتضيه طبيعته ،والتأثر والتأثير كان متبادلا بين العلوم بحكم الحاضنة الواحدة و عدم قصر الدراسة على لون واحد من العلوم.

يبين الأستاذ الحاج صالح أن سيبويه في توظيفه لمصطلح العلة لا يصدر عن القياس و أركانه الأربعة التي انتهى إليها الأصوليون من الفقهاء بعد الشافعي، ثم حذا حذوهم أبو البركات ابن الأنباري في ق 5 هـ الهجري وكل من جرى مجراه ، لأنه ليس من شرط القياس أن يتوافر على أصل مقيس عليه و فرع مقيس و علة موجبة للحكم، و هذا ما أساء فهمه جلّ المعاصرين من دارسي اللغة - و سيأتي بيانه لاحقا -

[14] -المرجع السابق، 284.

يقول الحاج صالح: " بل العلة هي دائما عند النحاة الأولين عامل اضطراب ومانع للاطراد في داخل الباب "[15]، و كنت قد سألته مرة عن العلة فأجابني: " العلة هي عند سيبويه و معاصريه سبب خروج الوحدة اللغوية عن بابها و قياسها و ليس سببا عاما بل يخص هذا الخروج عن القياس وحده فهو بيان عن الاضطراب ومصدره، و هو دائما سبب خارج عن نظام اللغة كالثقل و تنافر الحروف و كثرة الاستعمال أواللبس و غير ذلك"[16]، و هو دائما يقتضي فرعا، بعيدا عن الأصلية والفرعية التي جعلوها قسرا من مكونات القياس النحوي.

و قد أقام الحاج صالح على قوله هذا الدلائل من كتاب سيبويه، يقول سيبويه نقلا عن الخليل: " و تقول في الإضافة (النسبة) إلى قِسِي و ثِدِي: ثُدَوِيّ و قُسَوِيّ لأنها فعول : فتردها إلى أصل البناء ... فإذا ذهبت العلة صارتا على الأصل"[17] و قال أيضا: " و قال: " ... لأنه لم تأت علة مما ذكرنا (توالي حروف متشابهة) فجرى على الأصل "[18]، فالعلة أبدا تقتضي بنية أو مجرى فرعيا، و بغيابها يرجع المجرى و البنية إلى الهيئة أو المسار الأصلي الأول "، و قال (سيبويه): و لم تذهب الواو كما ذهبت من الفعل يَعِد، ولم يحذف من مَوْعِد لأنه ليس فيه من العلة ما في يعد ولأنها اسم "[19].

فالملاحظ يقول الحاج صالح ـ أنّ العلة إذا غابت رجع الشيء الذي تغيّب في الأول إلى أصله بسبب غيابها فالعلة هي عنده (سيبويه) ما يطرأ من

---

[15] - الحاج صالح، منطق العرب، ص328.

[16] - بوخلخال عبد الله، السماع والقياس عند الحاج صالح، إش: محمد الحباس، جامعة الجزائر2، 2001م، ص379.

[17] - المرجع نفسه، ص ص 330،331.

[18] - المرجع نفسه، ص331.

[19] - المرجع نفسه، ص331 .

الأحداث فيغير الشيء عمّا كان عليه، و لا يوجد في كتاب سيبويه و لا عند معاصريه و شيوخه معنى آخر لهذه الكلمة غير هذا "[20].

فاختفاء الواو في «يعد» إنما كان لعلة، و رجوعها في «موعد»لغياب العلة.

و يشهد لما ذهب إليه الحاج صالح ما جاء في « الإيضاح » للزجاجي و هو قوله: " لأنّ الشيء قد يكون له أصل مجتمع عليه ثم يخرج منه بعضه لعلة تدخل عليه، فلا يكون ذلك ناقضا للباب "[21] ويزيده وضوحا قول ابن جني من " أن ما جاء على أصله فلا كلام فيه، وإنّما السبيل ما خرج عن أصله أن يُنظر إلى علته ما هي " [22].

و الحاصل أنّ العلة و إن لم تتحدد بمفهوم جامع عند الأولين وبخاصة عند سيبويه كما هو حال أكثر المفاهيم النحوية، إلا أن استعماله لهذه اللفظة جاء في سياقات كفيلة بأن توقفنا على دلالتها عندهم، مثلما اهتدى إليه الحاج صالح .

2 .مدى صحة تأثر العلة النحوية بالعلة الأرسطية :

كم هي المزاعم التي لفقت للمفاهيم النحوية الأصلية بحجة أنه يبعد أن يبلغوا بالنحو في مدة لم تزد عن القرن - و هي قصيرة جدا قياسا بمراحل نضوج النحو اليوناني ـ بشكل بديع و بالغ الضخامة، اللهم إلا أن تكون للفلسفة اليونانية أو للنحو السرياني المتأثر بالنحو اليوناني، أو بالأحرى للفكر الأرسطي منة على بلوغ النحو العربي نضجا قلّ نظيره .

و لنقضي بصحة أو بخطأ هذه الدعوى يلزمنا أمران، أمر تاريخي يضطلع الدارس فيه بالرجوع إلى كتب الأقدمين ليتتبع الظاهرة المعنية بالدرس،

[20] - المرجع السابق، ص331.

[21] - الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المارك، دار النفائس، ط1 ،199م،ص51.

[22] - المرجع السابق، ص338.

فيتتبعها وفق المنهج التاريخي، و الأمر الثاني بعد جمع للمعطيات التاريخية و النقلية و العلمية، يطابق بين المادة العلمية عندنا وعندهم، ثم يقضي بموجب التقاطع و عدمه في المفاهيم والتقاسيم والمصطلحات و آليات العمل و نحو ذلك .

و إذا عدمنا في كتب السالفين ما يفيدنا في تبيان منشأ المفهوم ومصدره، فإنه لا سبيل إلى تبيّنه إلا بالمطابقة و عقد المقارنة، و بخاصة أن الأوائل قد حدثونا عن أول من أخلط أوضاع النحو العربي بالأوضاع الأرسطية، و هو ابن السراج ت 316 مع محافظته على المادة النحوية هي هي كما جاء بها «الكتاب»،" قال المرزباني عنه: «صنف كتابا في النحو سماه الأصول انتزعه من كتاب سيبويه و جعل أصنافه بالتقاسم على لفظ المنطقيين... و إنما أدخل لفظ التقاسيم، فأما المعنى فهو كله من كتاب سيبويه على ما قسمه و رتبه» و يكفي- يقول الحاج صالح- أن تتصفح كتاب « الأصول » لنتيقّن أنّ ابن السرّاج أعجب بالتصنيف الاندراجي اليوناني، فحاول أن يطبّقه على كل مواد النحو، ورتبها بالفعل على شكل جديد تماما -مع بقاء المحتوى هو هو - لأول مرة في تاريخ النحو "[23].

هذا عن المرويات التاريخية التي لم يسكت عنها الأولون حينما حدث التأثر بالفعل ، أما عن العلة الموظفة، فحري بنا أن ننبه أن ورود هذه اللفظة في الدرس النحوي الأصيل ووجودها في الكتب المترجمة عن اليونان لا يعني أنها انتقلت كلفظة و مفهوم من علومهم إلى علومنا، ذلك أنّ التعليل أمر فطريّ مثله مثل القياس، فهما قديمان في كل العلوم و في كل أمة و هما يوجدان في أشياء حياتنا اليوميه، و بخاصة أنّ التعليل كان قد بلغ مبلغ النضج عند الخليل قبل غزو الفلسفة الإسلامية عالمنا العربي بداية من

[23] - الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المارك، دار النفائس، ط1 ،199م، ص80.

حكم المأمون ت 218 في القرن الثالث الهجري، ولنتبين هذا نستعرض مفهوم العلة في استعمال الفلاسفة .

يقول الحاج صالح: " أما العلة عند أرسطو فهي أربعة أنواع كما هو معروف، قال أرسطو: " كانت العلل أربعا ،إحداها: ما معنى الوجود للشيء في نفسه؟ و الأخرى : عندما يكون: أي أشياء يلزم أن يكون هذا الشيء؟ و الثالثة: العلة التي يقال فيها : ما الأول الذي حرّك ؟ و الرابعة التي يقال فيها: نحو ماذا، فإن جميع هذه تُرى في المتوسط"[24] و قريب منه ما ذهب إليه الكندي حينما قال: " العلة أشرف من علم المعلول، لأنا إنما نعلم كل واحد من المعلومات علما تاما إذا نحن أحطنا بعلم علته، لأنّ كل علة إمّا تكون عنصرا و إما صورة و إما فاعلة : أعني ما منه مبدأ الحركة، و إما متممة أعني ما من أجله كان الشيء . و المطالب العلمية أربعة... إما هل و إما ما و إما أي و إما لما. فأما هل باحثة عن الأنية فقط، و إن كل أنية لها جنس، فإنّ ما تبحث عن جنسها وأي تبحث عن فصلها و ما و أي جميعا تبحثان عن نوعها و لما عن علتها التمامية..."[25] .

فمن هذا كله نقف فقط على النوع من العلل الذي يُعنى بسبب اعتلال المعلول، و هو عندهم السبب العام لا الخاص، و هو ما انتهت إليه العلة عند من جاء بعد الشافعي من الفقهاء وعند علماء ق3هـ ومن بعدهم من النحويين كما سنأتي على ذكره لاحقا .

و هو النوع الذي قال فيه أرسطو: « عندما يكون أي أشياء يلزم أن يكون هذا الشيء» فيجعلون لكل شيء و حدث و ظاهرة لازما أوجدها وكان علة في حدوثها مهما كانت، و هو الذي قال فيه الكندي: « أعني ما من أجله كان الشيء » مهما كان هذا الشيء خاصا أو عاما و في أي مجال حصل.

[24] - الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المارك، دار النفائس، ط1 ،199م ، ص333.

[25] - نفسه، ص ص333، 334.

و ختم الكندي كلامه الآنف الذكر بقوله: " و بيّنٌ أنّا متى أحطنا بعلم عنصرها فقد أحطنا بعلم جنسها، و متى أحطنا بعلم صورتها فقد أحطنا بعلم نوعها، وفي علم النوع علم الفصل، فإذا أحطنا بعلم صورتها و علتها التمامية فقد أحطنا بعلم حدها، و كل محدود فحقيقته في حده "[26].

يلمح لنا من خلال هذا الكلام أنّ مؤدَّى مجموع العلل عنده - وهو من الفلاسفة الخلص- هو الوقوف على كنه الشيء و حقيقته وجوهره بوضع حدها، و الحد عند الفلاسفة يأتي لبيان الحقيقة والجوهر ، وهو في النحو الأصيل و في العلوم الإسلامية قبل أن تشوبها شائبة تشويه المفاهيم و الانحراف بها عمّا أرادها لها واضعوها المبدعون الأوائل، تبيان الشيء بتمييزه عن غيره .

و ما منعنا أن نأتي بمفهوم العلة لدى المتكلمين إلا أن فلسفتهم كانت إسلامية محضة قبل غزو مفاهيم يونان للعلوم الإسلامية، و من ثم ظهور فلاسفة خُلّص كالكندي و ابن متى و غيرهما .

وحتى عند اختلاط المفاهيم النحوية الأصيلة بالمنطق الأرسطي فإنّ المبدعين من النحاة كانوا باستطاعتهم التمييز بين ما هو أصيل من أوضاع النحو العربي و بين ما هو دخيل، فهذا الزجاجي بعد ما حدّ الاسم بأنه ما كان فاعلا أو مفعولا أو واقعا في حيز الفاعل و المفعول، قال: " هذا الحد داخل في مقاييس النحو و أوضاعه... و لأنّ المنطقيين وبعض النحويين قد حدوه حدّا خارجا عن أوضاع النحو، فقالوا: الاسم صوت موضوع دالّ باتفاق على معنى غير مقرون بزمان، و ليس هذا من ألفاظ النحويين و لا أوضاعهم، و إنما هو من كلام المنطقيين وإن كان قد تعلّق به جماعة من

[26]- الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المارك، دار النفائس، ط1 ،199م ، ص334.

النحويين، و هو صحيح على أوضاع المنطقيين و مذهبهم، لأن غرضهم غير غرضنا "[27].

أما مفهوم العلة و الغاية من وراء توظيفها في النحو الأصيل فمختلف، ذلك أن النحاة المبدعين الأول رصدوا الظواهر اللغوية ووصفوها واستقرؤوها وفق الأبواب المدرجة فيها بابا بابا ، فلاحظوا انتظامها في كل باب، و ما الباب إلا نتاج هذا الانتظام و التناظر بين بناه ووحداته، لكن قد تعرض عوارض لهاتيك البنى و المجاري و أحوال فتنحرف عن انتظامها، و تشذ عن مجراها أو مبناها المعتاد، فطلبوا لذلك تفسيرا بتبيان نوع العلة التي عدلت بالبينة أو المجرى عن المسار الطبيعي .،بل وفسروا كل عدول، فما كان له شاغل و مانع عدوه علة، و ما لا شاغل له اعتبروه شاذا و عللوا له بمثل قولهم :«هكذا سمع »، وهو كذلك في كل بنية و مجرى، لا يتخلّف لتواطؤ الفصحاء عليه مهما كان خارجا ببنتيه أو مجراه عن نظائر بابه .

أما المعدول به لطارئ، فمتى ما عدمه رجع إلى أصله[28]، و ذلك الذي وسموا معرقله بالعلة، و هو ما كان حصوله مقتض لفرع حاضر أوجبه المانع (العلة) الطارئ، حتى إذا ما تخلّف هذا المانع الشاغل عادت البنية (إفرادية كانت أو تركيبية) أو المجرى إلى أصلها، و هي الأصل الوضعي الذي تواضعت عليه .

و بين البنى الفرعية و الأصلية نكون أمام ثنائية اللغة (الوضع) والاستعمال (الكلام = كلام الأفراد)، فلا أصل في اللغة و الوضع- بحسب ما نحن فيه من حديث عن العلة النحوية الأصلية - إلا بتخلّف هذا

---

[27] - الزجاجي الإيضاح، ص48.

[28] - ومع ذلك تبقى بعض المعلولات كما هي،لأنها كذلك سمعت باطراد ،فأصلها موجود في افتراض النحوي بما يقتضيه القياس ك: كُلْ، يقُوم، مبيع، اصطبر، والأصل: أأكل، يقْوُم، مبيوع، اصتبر.

الوضعي عن بنيته الأصلية في استعمال الأفراد، و ذلك لعلة من العلل، و مهما كان هذا المتواضع عليه من بنى إفرادية و تركيبية مطردا و غير متخلّف في استعمال الأفراد له و بالتالي غياب العلل الشاغلة كان الوضعي مطابقا لما هو استعمالي، فلا يعني تقابلهما افتراقهما دوما، بل الأصل المطابقة، و المفارقة عارضة .

هذا و إنّ لكل من الوضعي في مقابلة الاستعمالي قوانينه ، غير أنّ الاستعمالي هو نظام خاص داخل نظام لغوي عام.

3.تطور مفهوم العلة:

رأينا العلة كيف كانت في استعمال الخليل و سيبويه و أنها كانت سببا خاصا لا عاما، و لكن و بتأثير من علماء الكلام (الفلسفة الإسلامية) عُمِّم استعمالُها لتشمل التفسير للظواهر اللغوية المختلفة التي تؤسس للنظام اللغوي بأجمعه، و بهذا الصدد يقول الحاج صالح: "و قد رأينا أن بعض المتكلمين في بداية ق 3 هـ هم الذين استبدلوا ما كان في عبارة الشافعي « في معناه » بكلمة علة ، فصارت تدل على المؤثر و السبب عامة، و بقيت تدل على سبب خروج الشواذ عن الباب في اصطلاح النحو "[29].

و في موطن آخر يؤكد على هذا فيقول: " و يتضح بهذا أن مفهوم العلة النحوية القديمة غير العلة الفقهية التي استعملها لأول مرة أصحاب الشافعي وكان منهم متكلمون و هي عندهم الباعث و الداعي والسبب عامة "[30].

[29]- الحاج صالح، منطق العرب ، ص328.

[30]- نفسه، ص333.

ومن أمثلة هذا الضرب من العلل ما جاء في معاني الفراء حيث قال: " فيحسن الجزم لانقطاع الاسم من صلته، من ذلك:{فهب لي من لدنك وليا، يرثني} جزمه يحي بن و ثاب و الأعمش و رفعه حمزة «يرثني»لهذه العلة "[31].

العلة ههنا الصلة التقديرية، و التقدير هو «الذي يرثني» فمن جزم فعلى المجازاة بالأمر كقوله تعالى: {ابعث لنا ملكا نقاتل} و من رفع فعلى تقدير الصلة «نقاتل» هي في تقدير الذي يقاتل بجعل « يقاتل»بدلا من « نقاتل » صلة لـ «الذي».

فواضح أنّ العلة هي بمعنى السبب العام ،وكونه عاما أنه تنوع لغويّ في التراكيب سُمع كلّا عن الفصحاء و جاءت به القراءات المختلفة اختلاف التنوع، فهي بدائل لغوية و بدائل قرائية و ليس واحد منها فرعا لأصل حجبت استمراره علة مانعة من العلل .

و مع هذا يبقى النحاة محافظون على الاستعمال الأقدم للفظة «العلة» في السياق الذي عهد عن الشافعي من الفقهاء و عن الخليل و سيبويه من النحاة، و من أمثلة هذا الضرب ما جاء في المقتضب للمبرد و هو قوله: " عَوْد و عِوَدة ، و ثَوْر و ثِوَرة... دِيمَة و دِيَم .و قامة و قِيَم ، فأما قولهم ثِيَرَة فله علة "[32]، و الأصل ثِوَرَة كما تقدم، و إنّما فعلوا ذلك في استبدال الواو ياء لأنها الأنسب للكسر الذي قبلها ، فطالبوا الخفة بالتخلص من الثقل و هي علة هذا الاستبدال .

و يتضح هذا التعميم للعلل لتكون تعليلا و تفسيرا لكل الظواهر اللغوية و النحوية، في كتاب الإيضاح للزجاجي - و هي كثيرة جدا- من ذلك ما جاء في كثير من تبويباته، مثل " باب علة امتناع الأسماء من الجزم، قال سيبويه...

[31]- الفراء، معاني القرآن، ج2، ص158.

[32]- المبرد، المقتضب،ج1،ص268.

لم تجزم الأسماء لخفتها و لزوم التنوين إياها "،[33] فهذا من سيبويه ليس تعليلا و بيانا للعلة، و إنما تحليل و تفسير للظواهر النحوية في إطار النحو العلمي الذي يسعى إلى إظهار القواعد النحوية التعليمية في شكل منتظم و مبرّر هي كقواعد و كل ما ينوط بها من الظواهر اللغوية و النحوية، و لا يسمي سيبويه ذلك بالعلة، في حين أن التفسير بذكر السبب و الدواعي هو اعتلال و علة في استعمال الزجاجي، لذلك حينما بوب بـ « باب القول في الإعراب لِمَ دخل في الكلام »بيّن بأنّه "قول جميع النحويين إلا قطربا فإنه عاب عليهم هذا الاعتلال"[34]، ثم قال بعد ذكر اعتلالات ابن المستنير قطرب و بيانه أنها ليست للفرق: " ولكل شيء مما ذكر علة تمر بك في بابه "[35].

و بداية من ابن السراج أو قبله بقليل وُسّع في استعمال العلة لتدل على القانون النحوي و القاعدة المستنبطة من كلام العرب، واستنباطها هو نتيجة للتلازم ما بين العلة و المعلول، فاستمرار العلاقة بين العلة والمعلول مطردة كالفاعل و علامة الرفع و المفعول و علامة النصب و بناء الفعل المضارع على « يفْعُل » كلما كان ماضيه «فَعُل» والمصدر على «تفعيل» كلما كان ماضيه « فَعَّل » .

يقول ابن السراج: " العلة التي إذا اطردت وُصل بها إلى كلامهم فقط «كرفع الفاعل (قاعدة نحوية) إذا اطرد باستقراء كلام العرب، وقوله « وصل بها »أي نتوصل به إلى انتحاء سمتهم في هذا الأصل (القاعدة)

[33] - الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص102.

[34] - الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص69.

[35] - الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص69.

تحديدا، فأصول و قواعد ابن السراج معلولة باطرادها واستمرارها وعدم تخلفها في كلام العرب "[36].

لأنه كان قد ألف كتابا في النحو أسماه بـ « الأصول في النحو »، فالتبس على بعضهم ظنا منهم من خلال عنوان الكتاب أنه كتابٌ في أصول النحو جمع فيه مادة « الكتاب » إلا أنه أحسن ترتيبها و تبويبها، و يعد من المبدعين ممن كانوا على خطى الخليل و من ثم هو أحد المعتزين إلى المدرسة الخليلية على الرغم من إدخاله بعض المفاهيم الأرسطية، لكنه أفاد منها الاهتمام بالتحديد ووضع التقاسيم، وهو ما مهّد لظهور النحو التعليمي على يديه وعلى يدي تلامذته، و هو الصورة المبسطة للنحو بعيدا عن الشواهد السماعية و الاستدلالات العقلية .

و العلل عند تلميذ ابن السراج و أعني الزجاجي ثلاث، علل تعليمة "وهي التي يتوصل بها إلى كلام العرب "[37]، و لا يتوصل إلى كلام العرب إلا بالوقوف على قواعد اللغة مثل « إن زيدا قائم »، العلة في انتصاب زيد لأنه اسمها[38]، و العلة في ارتفاع قائم كونها خبرها .

" فأمّا العلة القياسية فأنْ يُقال لمن قال نصبت زيدا بإنّ... و لم وجب أن تنصب « إن »الاسم؟ فالجواب في ذلك أن يقول: لأنها و أخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول، فحملت عليه فأعملت إعماله لما ضارعته..."[39]، العلة بهذا المعنى تبحث في سبب نصب إن للإسم، هل يوجد في القُبُل اللغوية و البُنى التركيبية ما يتوافق و المجرى الذي جرت عليه « إن » في عملها و بالتالي تكون مبررة و منتظمة و فق النظام النحوي العام،

[36] - السماع والقياس عند قدامى النحاة والأستاذ الحاج صالح، ص101.

[37] - المرجع السابق، ص64.

[38] - نفسه، ص64.

[39] - السماع والقياس عند قدامى النحاة والأستاذ الحاج صالح ، ص64.

فعلل الزجاجي بمضارعتها للفعل المتعدي الذي يكون فيه المفعول مقدما على الفاعل، و هذا تعليل بالقياس، أي أنها في قياس الجملة الفعلية من هذا النوع، فالعلل التعليمية هي لمتكلمي العربية، و العلل الثواني (القياسية) يهتم باستنباطها النحويون، ثم تأتي العلل الجدلية النظرية (الثوالث)، و هي علل يُلجأ إليها في باب الجدل الذي من شأنه أن يشكك في العلة القياسية أو يزيدها قوة على قوتها، و ذلك أنّ القياس من هذا النوع قد يُعترضُ عليه بقياس آخر، كما قد يعضّد بقياس يشفع له، يقول الزجاجي: و أما العلة الجدلية النظرية فكل ما يعتلّ به في باب « إن » بعد هذا ، مثل أنْ يقال ، فمن أي جهة شابهت هذه الأحرف الأفعال؟ و بأي الأفعال شبهتموها؟ أبالماضية، أم المستقبلية...؟ و حين شبهتموها بالأفعال لأي شيء عدلتم بها إلى ما قدم مفعوله على فاعله نحو ضرب زيدا عمرو؟، و هلّا شبهتموها بما قدم فاعله على مفعوله لأنه هو الأصل و ذاك فرع ثان ... إلخ. "[40]، و مثل هذا الجدل العقيم الذي هو أثر من آثار الفكر اليوناني الذي تسرب إلى الدرس اللغوي لا يأتي إلى النحو الأصيل من أي جهة، وقد رأينا نتفا من تعليلات سيبويه و تصفحنا كثيرا مما كتب فلم نعثر إلا على تفسيرات تأتي لتعزيز ما يقعده من قواعد بعيدا عن السفسطة و الجدل اللامتناهي، و لهذه المجادلات و المماحكات التي لا طائل من ورائها إلا التطويل و الحشو و جود بارز في كتاب «الإنصاف» لأبي البركات، لنتبيّن من خلاله ما آلت إليه تحليلات النحويين في القرن الخامس هجري .و له جذوره في ق 4 هـ ، و كتاب «الإيضاح »شاهد على بوادر هذا الجدل .

و إنّ لظهور « لمع الأدلة » لأبي البركات بن الأنباري الشافعي في ق 5 هـ ثم « الاقتراح» للسيوطي، و هما كتابان في أصول النحو على منهج وخطى كتب

[40] - نفسه، ص65.

«أصول الفقه»، و بالتالي يكونان قد حادا عن الأصول النحوية الأصيلة التي اعتمدها النحويون في إجراءاتهم العملية التي بموجبها وضعوا تلك القواعد التي اشتمل عليها الكتاب،و هو عمل رصين اضطلع به النحويون بداية من أبي الأسود الدؤلي، انتهاء بالكتاب، مرورا برعيل مبدع من أمثال الحضرمي و عيسى بن عمرو وأبي عمر بن العلاء والخليل و يونس بن حبيب .

وما الخصائص لابن جني إلا تنظير لتلك الأصول التي اعتمدها النحويون في سبيل التقنين النحوي، وبيد أنّ أبا البركات و السيوطي فقيهان إلى كونهما نحويين، فقد التبست عليهما العلة بما انتهت عليه عند الفقهاء بالعلة النحوية الأصلية، لانخداعهما بلفظة العلة التي هي ركن من أركان القياس الأربعة وفق أشهر تعاريف القياس، فهذا الآمدي بعدما عرض لمختلف التحديدات التي حُدّ بها القياس قال: "و المختار في حد القياس أن يقال إنه عبارة عن الاستواء بين الفرع والأصل في العلة المستنبطة من حكم الأصل وهذه العبارة جامعة مانعة[41].

فظن أبو البركات أن القياس النحوي كالقياس الفقهي فأسقط حدّهم للقياس على القياس النحوي فقال: " لابد من كل قياس لأربعة أشياء – أصل وفرع وعلة وحكم فخرج عن القياس النحوي الأصيل الذي يُعنى أساسا بالشكل لا بالجوهر، وأعني هنا المعنى الذي يُعنى به القياس الفقهي والقياس الأرسطي، ولم يقل أحد من النحاة الأقدمين أن القياس ينهض على مبدأ الفرعية و الأصلية، اللهم إلا أن يأتي عرضا .

ثم جاء جلّ المحدثين بما جاءنا به أبو البركات و السيوطي بتحديد للقياس ينهض على أركان أربعة، ومن ثم اقتصرت أقيستهم التي مثّلوا بها على أمثلة

[41]- الآمدي ،الأحكام في أصول الأحكام ،ج3 ،ص231.

مكرورة لم تكد تخرج عن حمل نائب الفاعل (فرع) على الفاعل (أصل) في الرفع (حكم) لعلة (الإسناد) ،على أنّ القياس في تمثّل سيبويه لا تكاد تخلو منه ورقة في «الكتاب»،لأنه ينهض على مبدأ التكافؤ و التوافق و التناظر، تؤدّي إليه مثل العبارات التالية : ك، مثل، بمنزلة، قياسه، يجري مجرى، يوافق، نظيره... إلخ . ونحن لا ننكر أن المفاهيم قد تولد خداجا ثم تأخذ في الاكتمال إلى أن تتهيأ متبلورة في صورتها المكتملة،لكن معضلة هذا المفهوم (العلة) أنه حصل له تداخل مع غيره من المفاهيم، فصارت العلة التي هي فقط خروج عن الأصل، ظاهرة عامة تمس كل ما يطلب تفسيره وفق ما يقتضيه النحو العلمي، فضلا عن إقحام هذه اللفظة في أركان القياس فأدّى ذلك إلى إساءة فهم القياس مع تضييع لمفهوم العلة الأصيل.

ولئن كانت الظواهر النحوية في مسيس الحاجة إلى التفسير بمقتضى النحو العلمي فإنه أحرى بالعلة التي هي عنصر اضطراب في هذا النظام العام أن تُميَّز عن غيرها وأن تُفرد بمصطلح خالص لها.

خاتمة :نخلص في الختام إلى أن العلة النحوية هي من المفاهيم الأصيلة في النحو العلمي، وهي إحدى ركائز التفسير للتبرير لما يبدو أنه خارج عن الانتظام النحوي في المجاري والمباني، فهي تفسير لا لكل الظواهر النحوية، وإنما لما خرج عن الأصل، وبيّنّا أنّ العلة دوما مرتبطة بفرع عُدِل به عن أصل لشاغل شغل، وهذا الشاغل المعرقل لهذا النظام العام، هو عنصر اضطراب أوجب على النحويين أن يكشفوا عن أسبابه، وهو فقط الذي أطلقوا عليه مصطلح العلة في أصالة النحو، ولم يلبث أن عُمِّم استعمالُه ليشمل كلَّ الظواهر اللغوية بتأثير من علم الكلام، وبيّناّ أنّه لا علاقة لهذا المفهوم بمفهوم العلة الأرسطية، ذلك أنها على أربعة أقسام، وتؤدّي إلى بلوغ كنه الشيء وجوهره، ثم إنّ النظر في أسباب الأشياء ليست حكرا على يونان أو غيرهم، فهي شيء فطري مثلها مثل القياس.

وما إن انحرف الفقهاءُ بمصطلح العلة الذي كان يقع من الفقه موقعه من النحو الأصيل فصار يحل محل «المعنى» أو «الجامع» الذي هو مناط حمل الفرع على الأصل، حتى جاء جيل من النحاة الفقهاء فأسقطوا أركان قياس الفقهاء على القياس النحوي، فاختل مفهوم العلة الأصل بالمفهوم العِلّي الذي أقحم في القياس.

**** المصادر والمراجع:**

1. - الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المارك، دار النفائس، ط1 ،1999م.
2. -ابن حنبل أحمد ،العلل ومعرفة الرجال، تح:وصي الله عباس، ط2 ،دار الخاني ،الرياض،2001م .
3. -ابن منظور، لسان العرب، 1981م، ج5.
4. -الآمدي سيف الدين، الأحكام في أصول الأحكام ،تح: عبد الرزاق عفيفي، ج3، دار الصنعي،2003م.
5. -الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012م.
6. -الزبيديمحمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم،ط2، دار المعارف، مصر،1973م.
7. -الشافعي، الأم، تح: رفعت فوزي عبد المطلب، ج2، 1، مصر، 2001م.
8. -الفراء يحي بن زياد، معاني القرآن، ج2، ط3،دار الكتب،لبنان،1983م.
9. -المبرد محمد بن يزيد، المقتضب،تح: محمد عد الخالق عضيمة،ج1،مطابع الأهرام،مصر،1994.
10. الشافعي، الرسالة، دار الفكر، لبنان.
11. -الأطروحات:

- بوخلخال عبد الله،السماع والقياس عند الحاج صالح،إش: محمد الحباس،جامعة الجزائر2، 2001م.

12. المجلات:

- محمد بن حجر، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة، العدد الخامس،2014م.